

# أجاثا كريسيتا

موت في البتراء



للنشر والتوزيع



دار النجمة

**موت في البتراء**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أجاثا كريستى

موت في البتراء

دار النجمة  للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:

دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب  
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية

AgathaBooks@sardira.com

«ولهذا كله يجب أن تقتل!»!

سمع هيركيول بوارو هذه العبارة وهو يضع يديه على مصراعي النافذة ليغلقها، وتوقف لحظة ثم هزّ كتفيه وأغلق النافذة، لأنه نشأ على الاعتقاد بأن هواء الليل خارج البيوت يجب أن يبقى خارجها لأنه لا يوجد ما هو أخطر منه على الصحة أثناء النوم.

«ولهذا كله يجب أن تقتل!»! كلمات عجيبة، وأعجب منها أن تصل أذنيه في أول ليلة له بمدينة القدس. وقال لنفسه وهو ينصرف عن النافذة: يبدو أنني لا بد أن اسمع أو أرى شيئاً يذكرني بالجريمة والمجرمين أينما ذهبت.

ومرة أخرى هزّ بوارو رأسه وهو يستعيد في ذكراته تلك العبارة التي سمعها عند إغلاق النافذة: «ولهذا كله يجب أن تقتل!»!

ترى أهى عبارة كان يقرأها أحدهم من رواية بوليسية أم عبارة حوار في مسرحية؟ وابتسم وقال لنفسه: ربما أحتاج يوماً إلى تذكر هذه الكلمات عندما تتحول إلى حقائق رهيبية!

وتذكر نبرات صوت الناطق بها؛ نبرات شاب ثائر النفس متوتر الأعصاب. وقال بوارو لنفسه وهو يطفى المصباح ويأوي إلى فراشه: من المؤكد أنني سأتعرف على صاحب هذا الصوت إذا رأيته وسمعته يتكلم مرة أخرى.

\* \* \*

وكان صاحب الصوت هو ريموند بونتون. شاب في نحو الخامسة والعشرين. كان واقفاً إلى نافذة الغرفة المجاورة لغرفة بوارو بفندق الملك سليمان بمدينة القدس، وكانت تقف بجانبه شقيقته كارول (وهي شابة في نحو الثالثة والعشرين من عمرها) وكانا يتبادلان الحديث في سكون الليل. وقد عاد ريموند وكرر هذه العبارة: ولهذا كله يجب أن تُقتل!

وتلملمت كارول قليلاً، ثم تمتعت بصوت متهدج: هذا مخيف!

وقال ريموند بعنف: لا يمكن أن يستمر الحال هكذا... يجب أن نفعل شيئاً، وليس أمامنا شيء آخر يمكن أن نفعله!

- لو كان في مقدورنا أن نهرب!

- كارول! إنك تعلمين إننا لا نستطيع.

- نعم يا ريموند... إنني أعلم؛ أعلم هذا.

وأرسل ريموند ضحكة مريرة وقال: إن الناس يظنون أننا مجانين لأننا عاجزون عن الهرب من حياتنا هذه.

فقالت كارول ببطء: لعلنا مجانين حقاً!

- سوف نكون مجانيين فعلاً إذا استمرت حياتنا على هذا النحو مدة أخرى، ولعل من بوادر جنوننا أننا الآن ندبر جريمة لقتل أمنا.

فهتفت كارول قائلة بحدة: لا، لا؛ إنها ليست أمنا!

- صدقت؛ إن زوجة الأب لا يمكن أن تكون أمًا... مهما تظاهرت بذلك.

ثم أردف قائلاً بصوت ثابت: هل توافقين يا كارول؟

- نعم، أعتقد أن موتها ضرورة لا بد منها.

ثم انفجرت قائلة بصوت ينم عن ثورتها النفسية: إنها مجنونة، إنني واثقة من جنونها، ولو كانت عاقلة لما تلذذت بتعذيبنا على هذا النحو. لقد عشنا سنوات وسنوات ونحن نقول إن هذا لا يمكن أن يدوم، لكنه دائم. وقلنا كثيراً إنها سوف تموت يوماً، لكنها لم تمت، ولا أعتقد أنها ستموت، إلا...

فأكمل لها ريموند العبارة بقوله: إلا إذا قتلناها.

- نعم.

فضم ريموند قبضتي يديه قائلاً: لا بد أن يكون قاتلها واحداً منا، أنت أو أنا. إننا لا نستطيع أن نعتمد على شقيقنا لينوكس أو زوجته نادين، كما أننا لا نستطيع الاعتماد على أختنا الصغرى جيني.

فارتعدت كارول وقالت: يا للمسكينة! جيني، لشد ما أنا خائفة عليها.

- نعم، إن حالتها تزداد سوءاً، وهذا ما يدعونا إلى الإسراع في القيام بعمل حاسم.

وفجأة التفتت كارول نحوه وقالت: الذي يدهشني يا ريموند إنك تغيرت فجأة في يوم وليلة! ما الذي جعلك تصر على الخلاص من هذه الشيطانة الآن؟

- لا شيء يا كارول، لكنني لم أعد أحتمل.

- أم لعلها تلك الفتاة الحسنة التي التقيت بها في القطار.

- لا، طبعاً لا. ما شأن تلك الفتاة بنا؟ لنعد إلى موضوعنا.

- تعني إلى خطتك! هل أنت واثق من إحكامها؟

فقال ريموند بصوت كله ثقة: نعم، وسأخبرك بتفاصيلها.

ثم اقترب برأسه من رأسها وراح يهمس في أذنها.

\* \* \*

وقفت الأنسة سارة كنج (الطبيبة الحديثة التخرج) بجوار مائدة الكتابة في قاعة المكتبة بفندق الملك سليمان بالقدس، وكان جبينها مقطباً والقلق يبدو في عينيها وهي تقلب صفحات بعض المجلات.

ودخل رجل فرنسي في وسط العمر، طويل القامة، وراح يراقبها لحظة قبل أن يمضي إلى الجانب المواجه لها عبر المائدة، فلما التقت عيونهما ابتسمت سارة قليلاً وقد تذكرت أنه نفس الرجل الذي ساعدها في استدعاء بعض الحمالين عند سفرها من القاهرة. وقال لها الرجل الفرنسي رداً على ابتسامتها: هل أعجبتك مدينة القدس؟

- إلى حد ما.

فابتسم الفرنسي وقال: كنت سأطلب بعض القهوة، فهل تسمحين وتشربين معي يا آنسة...؟

- سارة كنج.

أخرج من جيبه بطاقة وقال وهو يقدمها: وهذا هو اسمي. ونظرت سارة في البطاقة، ثم همست قائلة في ابتهاج

ورهوة: الدكتور تيودور جيرار! لشد ما أنا سعيدة بمعرفتك يا سيدي. لقد قرأت كل مؤلفاتك في علم النفس، وإن آراءك في مرض الانفصام لمثيرة جداً. أنت أشهر طبيب للأمراض العصبية يا دكتور.

- أحقاً؟

- نعم، وإني لأقدرها بحكم عملي، فقد تخرجت حديثاً من كلية الطب.

- آه، فهمت.

ولكن الدكتور جيرار كان أكثر اهتماماً بجمال سارة منه بشهادتها، وقد سرّته علامات الرهوة والإعجاب المظلة من عينها وهي تنظر إليه. وسألها قائلاً: هل ستمكثين معنا طويلاً؟

- بضعة أيام، ثم أمضي إلى مدينة البتراء.

- وأنا أيضاً أفكر في هذه الزيارة إذالم تستغرق وقتاً طويلاً، لأنني مضطر للعودة إلى باريس قبل الرابع عشر من هذا الشهر.

- إن الرحلة إليها تستغرق أسبوعاً كما أظن؛ يومين في الذهاب ويومين في الإقامة، ثم يومين للإياب.

- يجب أن أذهب إلى مكتب الرحلات غداً وأرى ماذا ينبغي أن أفعل.

وفي تلك اللحظة دخلت جماعة إلى تلك القاعة، فتأملت سارة أفرادها برهة ثم قالت بصوت خافت: أترى هؤلاء الناس؟ لقد غادروا القاهرة معي أمس.

فألقي الدكتور جيرار نظرة عليهم ثم قال: أمريكيون؟

- نعم، أسرة أمريكية، ولكنها غريبة الأطوار كما يبدو.

- غريبة الأطوار؟ لماذا؟

- انظر إليهم، ولا سيما السيدة العجوز.

وتأمل الدكتور جيرار وجوه أفراد الأسرة بنظراته الفاحصة، ولاحظ أولاً الرجل الطويل العريض الذي يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، وكان وجهه وسيماً لكن قسماته تنم عن ضعف الشخصية والميل إلى الانطواء. ثم نظر إلى الشاب الأصغر، وكان جميلاً إلا أنه كان أيضاً «غريب الأطوار متوتر الأعصاب». أما الفتاة الأصغر منه فكانت أخته، لشدة الشبه بينهما في السمات وفي التوتر العصبي.

ثم الفتاة الصغرى ذات الشعر الذهبي المحيط برأسها كالهالة، كانت أيضاً تعبر عن حالتها العصبية بلا وعي بتمزيق المنديل الصغير الذي أمسكت به. أما السيدة الشابة ذات الشعر الفاحم والوجه الهادئ فكانت تشبه في غموضها لوحة مرسومة بريشة ليوناردو دافنشي. أما السيدة العجوز التي توسطت الجمع فقد جعلت الدكتور جيرار يقول لنفسه في رهبة: يا للهول! إنها نموذج لزوج الشيطان... إن كان للشيطان زوجة! كانت امرأة عجوزاً بدينة صارمة الملامح حادة النظرات، أشبه ما تكون بعنكبوت ضخمة سام قابع في شبكة نسيجه.

وهزّ كتفيه وقال لسارة: إن الأم دميمة جداً.

- إن في هيئتها ما يثير الرعب، ألا ترى هذا؟

- أعتقد هذا!

- وهناك طابع خاص في سلوك الذين حولها نحوها. أليس كذلك؟

- نعم، من هم أفراد هذه الأسرة، هل تعرفين؟

- إنهم أسرة بونتون: الأم، والابن الأكبر وزوجته، ثم ابن أصغر وأخت وأخت صغرى. ومن عجب أنهم لا يتحدثون مع أحد أو يختلطون بأحد، ولا يستطيع أحدهم أن يفعل شيئاً إلا بأمر الأم العجوز.

- يبدو أنها من النوع المستبد.

- بل إنها طاغية كما يلوح لي!

وابتسم جيرار لنفسه حين رأى سارة تركز نظراتها على الشاب الجميل بين أفراد الأسرة، ثم فكر: "يبدو أنها تحبه". وبصوت مسموع قال لها: هل تحدثت إليهم؟

- نعم، أعني مع واحد منهم.

- الشاب، الابن الأصغر؟

- نعم، في القطار الذي جاء بنا من القنطرة. كان في الممر بين مقصورات الدرجة الأولى وقد تحدثت معه.

- وما رأيك فيه؟

فترددت سارة برهة قبل أن تجيب قائلة: بدالي أن في الأمر شيئاً غير طبعي، فأولاً لاحظت أن وجهه يحمرّ لأبسط سبب.

فابتسم جيرار وقال: لعل له عذراً.

فضحكت سارة وقالت: تعني أنه حسبني واحدة من صائدات الرجال؟ لا، إن هذا الخاطر لم يطرأ على فكره. والرجل عادة يعرف هذا النوع من السيدات، أليس كذلك؟

فلما أوماً جيرار برأسه استطردت هي تقول: الشيء الذي أثار اهتمامي به هو أنني لاحظت بوضوح أنه مضطرب الأعصاب وخائف من شيء ما، وهذا وحده أمر غريب؛ فإن الأمريكيين يظهرون أمامنا عادة في مظهر الإنسان الواثق من نفسه إلى حد كبير. وهذا الشاب ليس حدثاً، إن سنه لا تقل عن الثالثة والعشرين.

- بل أعتقد أنه في الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين.

- ومع ذلك فإنه يبدو من تصرفاته كأنه غلام. وأعتقد أن لهذه الحالة علاقة أكيدة بتلك المرأة الرهيبة.

- يبدو أنك تكرهينها جداً.

- نعم، إنني أنفر منها وكأنها أفعى شريرة النظرات.

فابتسم جيرار وقال: إن الأم تبدو أحياناً شريرة النظرات حين ترى ابنها مفتوناً بفتاة جميلة مثلك!

وقبل أن تقول سارة شيئاً إذا بالشاب ريموند ينهض ويعبر القاعة إلى مائدة الكتابة حيث اختار بعض المجلات، وحين اقترب من مقعدها أثناء عودته نظرت إليه وقالت له: هل كنت مشغولاً اليوم بمشاهدة الأماكن الأثرية؟

وكانت قد اختارت كلماتها بلا تفكير لأنها أرادت فقط

أن ترى كيف سيتصرف عند سماعها. وتوقف ريموند فجأة، ثم اضطرم وجهه بشدة، ثم جفل وأرسل نظرات خوف إلى الأم المدينة وقال متعلثماً: آه! آه، طبعاً، نعم.

وكأنما لكزه أحد من الخلف فجأة، فإذا هو يندفع عائداً إلى الأسرة ممسكاً بالمجلة.

ومدت المرأة الشبيهة بتمثال بوذا يداً بدينة وتناولت المجلة، ولكن نظراتها كانت مركزة على وجه الشاب وهي تغمغم بكلمات شكر، ثم تحولت هذه النظرات واستقرت برهة على وجه سارة.

ونظرت سارة في ساعة يدها ثم نهضت قائلة: أوه! لقد مرّ الوقت بسرعة. شكراً جزيلاً على القهوة يا دكتور جيران. يجب أن أسرع لكتابة بعض الرسائل الآن.

نهض وصافحها قائلاً: سأراك مرة أخرى، أليس كذلك؟

- أوه! طبعاً، إذا قررت السفر إلى البتراء.

- سأبذل كل جهدي في هذا السبيل.

فابتسمت له سارة، واستدارت. وكان طريقها إلى خارج الغرفة يمر بمكان جلوس الأسرة، وراح الدكتور جيران يرقب الموقف، فرأى نظرات المرأة البدينة تتركز على الشاب ريموند، ورأى ريموند يدير وجهه... لا نحو سارة بل بعيداً عنها، وكأنما هناك يد خفية تضغط على الوجه وتبعده عن اتجاه سارة.

ولاحظت سارة كل شيء فلم تتمالك أن تشعر بالاستياء من ريموند، إذ تذكرت أنها تحدثت معه في القطار حديثاً ودياً

طويلاً، وتبادلا المعلومات والذكريات عن الآثار المصرية وعن اللهجات المحلية، وكان الشاب يبدو لها متحمساً كتلميذ يقوم بأول رحلة مدرسية خارج وطنه. فما معنى موقفه الآن؟ ولماذا يشيح بوجهه عنها؟ وقالت لنفسها في استنكار: لن أهتم بأمره بعد اليوم.

وكانت سارة تعرف تماماً أنها جميلة وجذابة، لهذا لم يكن في وسعها أن تقبل مثل هذا التصرف من شاب عرفته وتحدثت إليه. وبدلاً من أن تكتب رسائلها جلست أمام مرآتها تمشط شعرها وتفكر في حياتها. كانت قد خرجت لتوها من أزمة عاطفية أليمة، إذ فسخت خطوبتها (في الشهر السابق) مع طبيب شاب يكبرها بأربعة أعوام. وكان سبب فسخ الخطوبة إدراكها في النهاية أن كلاهما له شخصية قوية، وأن الاصطدام بين شخصيتهما لا بد أن ينتهي إلى التعاسة إذا تم الزواج. ولكن هذه الأزمة العاطفية سببت لها آلاماً نفسية عنيفة وجعلتها تقوم بهذه الرحلة للترفيه قبل أن تعود إلى وطنها، إنجلترا، وتبدأ حياتها العملية.

وارتدت أفكارها من الماضي إلى الحاضر، وتركزت في النهاية على الشاب ريموند فشعرت بلون من الاحتقار له، وكان مصدر هذا الشعور ذلك الخضوع المهين الذي جعل الشاب يتجاهلها خوفاً من أمه. ومع ذلك! إن أحساساً غريباً يخامرها، فلا شك أن هناك سبباً ما، سبباً غامضاً وراء تصرف الشاب! وفجأةً وجدت نفسها تقول بصوت مسموع وبلهجة حاسمة: إن هذا الشاب في حاجة إلى إنقاذ... ولسوف أرى ماذا يجب أن أفعل من أجله!

\* \* \*

عندما تركت سارة المكان تلكاً الدكتور جيرار في ركن من غرفة المكتبة لحظات، ثم مضى إلى مائدة الكتب والمجلات وتناول صحيفة ومضى بها إلى مقعد قريب من أسرة بونتون. كان في أول الأمر يتسلى باهتمام الفتاة الإنجليزية سارة بهذه الأسرة الأمريكية، وكان يشعر أن اهتمامها هذا ينبع من اهتمامها الخاص بواحد معين من أفرادها: الشاب الجميل. أما الآن، فقد بدأ هو نفسه يهتم بأمر هذه الأسرة، حين أدرك - بخبرته في علم النفس وتجاربه في الأمراض العصبية - أن هناك شيئاً غامضاً يحيط بهذه الأسرة.

وراح من وراء صحيفته يختلس النظر إلى أفرادها، فركز اهتمامه أولاً على الشاب الذي أثار إعجاب واهتمام الإنجليزية الحسنة سارة كنج، وأدرك الطبيب في الحال، أن الشاب من الطراز الذي يستهوي فتاة مثل سارة. إنها فتاة تتمتع بقوة الشخصية، وبالالتزان الفكري، وبالتفكير المنطقي السليم، وبالإرادة القوية. بينما يبدو على الشاب أنه مرهف الحس، خيالي النزعة، كما كان في تلك اللحظة يعاني من مؤثر عصبي شديد. ولم يعرف الدكتور جيرار لماذا؟ لماذا تتوتر أعصاب شاب وسيم يستمتع برحلة خارج بلاده؟

وحول الطبيب اهتمامه إلى بقية أفراد الأسرة. كان من الواضح أن الفتاة ذات الشعر الكستنائي هي أخت ريموند. كان الشبه بينهما واضحاً في تركيب الجسم وفي المظهر الأرستقراطي العام، كما كانت أيضاً متوترة الأعصاب مثله. وكان هذا التوتر يبدو واضحاً في صوتها وفي عباراتها السريعة القصيرة الحاسمة.

وسمع الدكتور جيرار مقتطفات من أحاديث الأسرة، عبارات عادية يمكن أن تدور بين أفراد أية أسرة أخرى:

- ربما نذهب إلى حظيرة جياذ فندق الملك سليمان.

- أليس في هذا مشقة على أمنا؟

- ثم نمضي إلى وسط المدينة.

- ونزور المسجد الذي يسمونه مسجد عمر.

إنها عبارات عادية يمكن أن يتبادلها أفراد أية أسرة تقوم برحلة خارج البلاد. ولكن شيئاً ما في نبرات الأصوات جعل الدكتور جيرار يشعر أن هذه العبارات لا تمت إلى الحقيقة بسبب، أو بمعنى آخر: أنها عبارات تخفي وراءها معاني أخرى أعمق وأغمض وأبعد عن تفكير الشخص العادي.

ومرة أخرى اختلس الطبيب نظره من وراء صحيفته، وركزها هذه المرة على لينوكس، أكبر الأبناء، وبدا له في وضوح أنه إنسان يائس تماماً؛ فقد كانت أمارات اليأس والاستسلام ناطقة على وجهه! ومن ثم قال جيرار لنفسه: إن المسكين يشبه مريضاً بالسرطان يعلم أن نهايته اقتربت فهو ينتظرها في استسلام، شاكراً

الله على حقن المخدر التي تخفف عنه آلامه.

وتحول الدكتور جيرار بنظراته إلى الفتاة الصغرى التي بدت له في نحو التاسعة عشرة من العمر، رقيقة، صافية البشرة، ذهبية الشعر، جميلة الملامح. وكانت جالسة في شبه ذهول، تبسم لنفسها وكأنها تحلق في عالم بعيد عن مدينة القدس وفندق الملك سليمان. وقد ذكرته ابتسامتها الذاهلة بابتسامات التماثيل في معابد الإغريق، ولكنه لاحظ فجأة أن يديها اللتين كانتا في حجرها مشغولتين بتمزيق منديل حريري صغير.

وكانت صدمة عنيفة لجيرار. هذه الابتسامة الذاهلة والجسم الساكن، ثم اليدين المدمرتين!

ورفعت الأم البدينة العجوز رأسها وسعلت قليلاً، ثم قالت للفتاة الصغرى: جنيفرا، إنك متعبة ويحسن أن تأوي إلى فراشك.

وجفلت الفتاة وجمدت أصابعها على المنديل الممزق، ثم قالت: أنا لست متعبة يا أماه.

وأعجب جيرار بصوت الفتاة الموسيقي. كانت الموسيقى فيه تضيفي على أية عبارة تنطق بها رنيناً عذباً يسعد الأسماع.

وردت الأم بصوتها المنفر قائلة: لا، بل أنت متعبة، وأنا أعرف هذا دائماً. وإذا لم تنهضي للاستراحة الآن فلن تستطيعي أن تقومي معنا بجولة الغد لمشاهدة الآثار.

- إنني في أحسن حال يا أماه ولا أشعر بأي تعب.

وبصوت أجش يؤذي سماعه أعصاب الأذن قالت الأم:

لا، إنك لست على ما يرام وسوف تمرضين.

- أبدأ، أبدأ يا أماء، إني بخير.

وبدأت الفتاة ترتعد بعنف. وهنا سمع جيرار صوتاً رقيقاً هادئاً يقول: سوف أصعد معك إلى غرفتك يا جيني.

ونهدت صاحبة الصوت، السيدة الهادئة ذات العينين الرماديتين الواسعتين والشعر الفاحم، زوجة لينوكس. ولكن الأم العجوز قالت بصوت حازم: لا يا نادين، دعيها تمضي بمفردها.

وصاحت الفتاة قائلة في احتجاج: لا، أريد أن تأتي نادين معي.

فتقدمت نادين نحوها خطوة وهي تقول: سوف أصحبك طبعاً يا جيني.

لكن الأم العجوز عادت تقول: إن جينيفرا تفضل الذهاب إلى غرفتها بمفردها. أليس كذلك يا عزيزتي؟

وبعد لحظة صمت قالت جينيفرا بصوت كله يأس واستسلام: نعم، أفضل الذهاب بمفردي، شكراً لك يا نادين.

ثم استدارت ومضت بقامتها الطويلة وخطواتها الرشيقة. وأزاح الدكتور جيرار الصحيفة عن وجهه وأخذ ينظر إلى الأم العجوز، السيدة بونتون، في تأمل. وقد رآها تشيع ابنتها بنظرات تنم عن الرضا وعلى شفيتها ابتسامة غريبة غامضة.

وبعد وهلة حولت المرأة العجوز نظراتها إلى نادين التي عادت إلى مجلسها، ورفعت هذه رأسها وبادلت حماتها النظر

وقد خلا وجهها من أية تعبيرات تنم عن حقيقة مشاعرها. أما نظرة العجوز فكانت مليئة بالشر والحقد. وقال جيران لنفسه: يا لها من امرأة طاغية فريدة من نوعها!

وتذكر جيران امرأة شابة تروض الوحوش. تذكر أن نظراتها كانت تشبه في قوة تأثيرها نظرات هذه المرأة العجوز، وتذكر أيضاً كيف كانت الوحوش تنظر إلى المروضة بعيون مليئة بالحقد والكرهية لكنها لم تكن تستطيع إلا أن تستسلم للأوامر. فقال لنفسه: "إنها نموذج للطاغية الرهيب!" وأدرك، في تلك اللحظة، المعاني الحقيقية التي كانت تختفي خلف عبارات أفراد الأسرة عند الحديث العادي. إنها معاني تنم عن الحقد والكرهية والتمرد المكبوت.

وعاد ينظر باهتمام إلى السيدة الشابة المدعوة نادين. كان خاتم الزواج في إصبع يدها اليسرى، وقد أدرك من نظراتها السريعة القلقة إلى الابن الأكبر، لينوكس، أنه زوجها.

كانت نظرات زوجة إلى زوج... بل نظرات أم إلى ابن، أم كلها العطف والحنان والقلق، إلى ابن ضعيف مريض هادئ الحركة.

ومن نظرات نادين عرف أنها الوحيدة بين أفراد الأسرة التي لا تخشى حمايتها. إنها تكرهها، وهذا واضح جداً، ولكنها لا تخشاهما. ورغم ما ينم عنه وجهها من بؤس وقلق بسبب حالة زوجها، فقد كانت هي الوحيدة التي تعرف معنى الحرية، كانت هي الوحيدة التي تواجهه عيني الأفعى دون أن ترتعد!

\* \* \*

بينما كان جيران يفكر في هذا كله، إذا برجل يدخل قاعة المكتبة، فإذا هو يتجه نحو أسرة بونتون حين وقعت عيناه على أفرادها. وكان رجلاً أمريكياً في منتصف العمر، شديد العناية بملابسه، وكان صوته رتيب النبرات وهو يتحدث قائلاً: كنت أبحث عنكم.

وبعد أن صافح الجميع قال للأم العجوز: كيف حالك الآن يا سيدة بونتون؟ هل أتعبتك الرحلة؟

وللمرة الأولى كان صوت الأم رقيقاً بعض الشيء وهي تقول: لا، شكراً. إن صحتي - كما تعلم - لم تكن جيدة في الأشهر الأخيرة.

- أنا آسف.

- لكنني لست أسوأ حالاً مما كنت.

ثم رسمت على شفيتها ابتسامة بطيئة وأردفت قائلة: وإن نادين تهتم بأمرى وترعاني. أليس كذلك يا نادين؟

فقالت نادين بصوت غير معبر: أنا أحاول أن أبذل كل ما في وسعي.

فقال الرجل الغريب بحماس: أنا واثق من هذا. حسناً، ما رأيك يا لينوكس في مدينة القدس هذه؟  
فغمغم لينوكس قائلاً: لا أعرف.

- إنني أرجو أن أفرغ من رؤية كل شيء في القدس خلال يومين. لقد تركت مكتب كوك للسياحة ينظم هذه العملية. إن مندوبيه سيصحبونني إلى الناصرة وبحيرة طبرية وبيت لحم، وغير هذا كله. كما أرجو أن أتمكن من زيارة مدينة البتراء الأثرية النائمة في واد من الصخور الوردية. إنها بعيدة عن العمران وتحتاج الرحلة إلى ستة أيام على الأقل، ذهاباً وإقامة وإياباً، ولكنها جديرة بضياح هذا الوقت.

وقالت كارول: لشد ما أتمنى زيارتها! إن حديثك عنها مشوق جداً يا سيد كوب.

فقال السيد كوب (وهو ينظر متسائلاً إلى السيدة بونتون العجوز): إن الرحلة شاقة وأعتقد أن السيدة بونتون لا تتحملها، ولهذا لا بد أن يبقى معها بعضكم هنا على أن يذهب البعض الآخر لزيارة هذه المدينة التاريخية، إنها جديرة بالزيارة حقاً.

فقالت الأم: إننا لا نحب أن نفترق أو أن يفصل بعضنا عن بعض. ما رأيكم يا أولاد؟

وجاءت الإجابات متوالية: نعم، نعم يا أمه!

فارتسمت ابتسامة غامضة على شفيتها. ثم قالت للسيد كوب: أترى؟ إنهم يرفضون أن يتركوني.

ثم نظرت إلى نادين وأردفت قائلة: نادين؟ أنت لم تقولي

شيئاً. ما رأيك؟

- أنا لا أريد الذهاب إلى هذه المدينة إلا إذا شاء  
لينوكس.

فقالت الأم وهي تدير رأسها إلى لينوكس: ما رأيك يا  
لينوكس؟ لماذا لا تأخذ نادين وتذهب إلى البتراء؟ إنها تريد  
الذهاب كما يبدو.

فجفل لينوكس قليلاً ثم قال متلعثماً: آه! حسناً! لا، لا،  
يحسن أن نبقي معاً، جميعاً.

فقال السيد كوب: إنكم في الواقع أسرة متماسكة.

وأحس جيرار، الذي كان يسمع هذا كله، أن صوت السيد  
كوب المتلطف كان ينطوي على معنى آخر، معنى متكلف.

فقالت الأم ترد عليه: إننا نحب أن نعيش معاً بعيداً عن  
الاختلاط بالغير. ثم أردفت قائلة لريموند: وبهذه المناسبة يا  
ريموند.. من هي تلك الشابة الحسنة التي تحدثت إليك منذ  
قليل؟

فاضطرب ريموند واضطرم وجهه وقال متلعثماً: إنني...  
إنني لا أعرف اسمها. فقد قابلتها مصادفة في القطار.

وبدأت السيدة بونتون تنهض ببطء عن مقعدها وهي تقول:  
أعتقد أنه لا داعي للتعرف بها. ثم أردفت قائلة بلهجة الأمر: حان  
وقت النوم، طاب مساؤك يا سيد كوب.

- طاب مساؤك يا سيدة بونتون. طاب مساؤك يا سيدة  
لينوكس.

وسار أفراد الأسرة خلف الأم العجوز في موكب حزين، ولم يخطر ببال أحدهم أن يتخلف عنها. وراح السيد كوب يشيعهم بنظراته وقد ارتسمت على وجهه أمارات غامضة.

وكان الدكتور جيرار يعرف من تجاربه أن الأمريكيين، بعكس الإنجليز، يميلون إلى التعرف بالغير، لا سيما أثناء الرحلات خارج الوطن. ومن ثم قرر أن يتعرف بالسيد كوب ليعرف منه كل ما يمكن أن يعرفه عن هذه الأسرة الغربية الأطوار. وسرعان ما قدم إليه بطاقته، وهتف السيد جيفرسون كوب حين قرأ الاسم: الدكتور جيرار؟ لقد كنت أستاذاً زائراً في جامعات أمريكا منذ عهد قريب، أليس كذلك؟

- بلى، وكانت آخرها جامعة هارفارد.

- أوه، إنني سعيد بمعرفتك يا دكتور، يبدو أن هذا الفندق مزدحم بالشخصيات العالمية، فقد رأيت فيه السير جابرييل ستانبيوم واللورد ويلدون والسير ماندرز ستوم عالم الآثار المشهور والليدي وستولم السياسية الإنجليزية المشهورة والمخبر الجنائي هيركيول بوارو.

- أهو هنا، هيركيول بوارو القصير؟

وبعد قليل قال الدكتور جيرار للسيد كوب: كنت منذ مدة قصيرة تتحدث مع أسرة أمريكية نموذجية.

- نعم، نعم، لكنها ليست نموذجية برأيي.

- يبدو أن أفرادها متماسكون ومتفانون في علاقات بعضهم البعض.

- تعني أنهم يدورون في فلك الأم العجوز؟ نعم ، هذه هي الحقيقة. إنها سيدة مدهشة.

- حقاً؟

وفكر السيد كوب قليلاً ثم قال: لا أجد مانعاً من أن أتحدث إليك عن هذه الأسرة. إنها في الواقع من الأسر التي تثير اهتمام الغير بغرابة سلوك أفرادها، وأرجو ألا أثقل عليك بالحديث عنها.

- لا ، لا ، مطلقاً.

وفي شيء من الارتباك قال السيد كوب: إن السيدة بونتون صديقة قديمة لي، أعني السيدة بونتون الشابة زوجة لينوكس بونتون، لا السيدة بونتون العجوز.

- آه، تعني تلك السيدة الجذابة ذات الشعر الأسود.

- نعم، إنها نادين. أعرفها قبل زواجها بلينووكس، وكانت يومذاك تتدرب في المستشفى لتظفر بشهادة التمريض. ثم ذهبت إلى قصر آل بونتون لتقضي إجازتها، وهناك تزوجت لينوكس. وقد كان الراحل السيد بونتون، رجل الأعمال المشهور، قد تزوج مرتين. وماتت زوجته الأولى تاركة لينوكس في سن العاشرة وريموند في الخامسة من عمره وكارول في الثالثة من عمرها. وكانت زوجته الثانية، السيدة بونتون هذه، جميلة عندما تزوجها السيد بونتون، أي منذ عشرين عاماً. إن من يراها الآن لا يمكن أن يتصور أنها كانت يوماً ما جميلة، ولكن الذين رأوها في شبابها يؤكدون هذه الحقيقة. وكانت معروفة بقوة الشخصية والذكاء الحاد والقدرة على مواجهة كل الظروف، ومن ثم راح

زوجها السيد بونتون يعتمد عليها في شؤونه، ولا سيما بعد أن أمضى السنوات الأخيرة من عمره مريضاً في الفراش. وبعد وفاته كرّست حياتها لتربية أولاده، وكانت قد أنجبت منه ابنة صغرى، هي جنيفرا (أو جيني)، تلك الفتاة الرقيقة ذات الشعر الذهبي. وكما قلت لك يا دكتور جيرار، كرّست الأم حياتها لتربية الأبناء، فحجبتهم عن العالم تماماً وجعلتهم يعيشون معها في قصر الوالد دون أي اختلاط مع أحد. وكانت النتيجة أنهم نشؤوا متوتري الأعصاب ضعاف الشخصية، بلا تجارب وبلا أية قدرة على اكتساب الأصدقاء. وهذا الأمر سيئ جداً.

- نعم، بكل تأكيد.

- لكنني لا أشك في أن السيدة بونتون كانت حسنة النية.

- ألم يحاول أحدهم القيام بعمل ما؟

- لا، مطلقاً. لقد ترك لهم أبوهم ثروة طائلة وأوصى بها كلها لزوجته، على أن يتقاسمها أبنائهم الذكور والإناث بالتساوي بعد وفاتها.

- وهذا يعني أنهم يعتمدون في معاشهم عليها تماماً.

- نعم، والأسوأ من هذا أن أحداً منهم لم يحاول أن يشغل وقته بعمل أو بهواية ما أو بالرياضة أو بغير ذلك من الأنشطة. صحيح أن ريموند لا يزال شاباً ولا تزال الفرصة أمامه ليبحث عن عمل يرتزق منه، أما لينوكس فإنه قد انتهى... لقد ضاعت منه كل الفرص ليثبت جدارته بالحياة.

- لا شك أن زوجته غير سعيدة بهذا الوضع.

- طبعاً يا دكتور جيرار. إن نادين فتاة رائعة، رغم أنها لا تشكو إلا أنها غير سعيدة، أوكد لك هذا.

- وماذا في وسعها أن تفعل يا سيد كوب؟

- لو كنت مكانها لطلبت من لينوكس أحد أمرين: إما أن يعيش كرجل حر أو أن يطلقها.

فقال جيرار باسمًا: لعلها لا تريد أن تنفصل عنه.

- لماذا؟ إن هناك رجالاً كثيرين يتمنون أن يتزوجوها.

- مثلك مثلاً؟!

- نعم، وأنا لا أخجل من التصريح بهذا. إنني أحترمها وأحبها أشد الحب وأتمنى أن أراها سعيدة، فإذا تأكدت أنها سعيدة مع لينوكس فسوف أخفي من حياتها فوراً.

- وإذا لم تكن؟

- في هذه الحالة يجب أن أكون بجانبها، فإذا احتاجت إليّ أسرعت لنجدتها.

غمغم جيرار قائلاً: أي تعتبر نفسك فارس النجدة المثالي؟

فنظر كوب إليه بارتياح. وعندئذ قال جيرار موضحاً: أعني أنك تتخذ موقف البطل النبيل الذي يضع حياته تحت أمر البطلة دون انتظار لشيء.

- أريد فقط أن أكون بجانبها عندما تحتاج إلى معونتي.

\* \* \*

كانت سارة كنج تقف في صحن المسجد الأقصى، وتتأمل بإعجاب شديد روعة بنائه وعظمة قبته المشيدة على صخرة مرتفعة وجمال نقوشه، حين سمعت وقع أقدام كثيرة في الجانب الآخر، فلما استدارت شاهدة أسرة بونتون ومعها المرشد السياحي، الذي كان يشرح لها روعة هذا المسجد الأثري الجميل. وكانت سيدة بونتون العجوز تسير معتمدة على ذراعي لينوكس وريموند، وكانت نادين والسيد كوب الأمريكي سيران وراءهم، أما كارول فكانت في المؤخرة.

ولمحت كارول سارة فوقفت مترددة، ثم أسرع وتقدمت منها خلصة عن بقية الأسرة وهمست لها قائلة: معذرة، يجب أن أعتذر إليك.

- لماذا؟

- عن أخي ريموند. لا شك أنك استأت منه بسبب موقفه معك أمس حين تحدثت إليه، أرجو أن تلتمسي له العذر؛ إنه لم يتعمد أن يتجاهلك أبداً.

وشعرت سارة بغرابة الموقف. لماذا تحاول هذه الفتاة أن

تعتذر بمثل هذه اللفظة عن تصرفات أخيها نحوها، نحو فتاة غريبة عنه تماماً. وقالت للصبية وقد شعرت -بغريزتها- إن هناك شيئاً غير طبيعي في الموقف بأجمعه: ولماذا تعتذرين عن سلوك أخيك؟

- لقد تحدث أخي معك في القطار، أليس كذلك؟

- نعم، أو على الأصح أنا التي تحدثت إليه.

- ومع هذا لاحظت أن أخي كان خائفاً من الحديث معك أمس.

- خائفاً؟

واضطرم وجه كارول بعد أن كان شاحباً وقالت: إن الأمر يبدو غريباً، ولكن... إن أمي... إنها ليست على ما يرام، وهي تكره أن نختلط بأحد خارج محيط الأسرة، ولكنني أعرف أن شقيقي ريموند يحب أن يتعرف بك.

وقبل أن ترد سارة، تابعت كارول قائلة بلهفة: أعرف أنني سأبدو في نظرك بلهاء، ولكننا أسرة غريبة الأطوار. ثم تلفتت حولها وأردفت قائلة: يجب أن أنصرف بسرعة قبل أن تكتشف أمي غيابي.

وقالت سارة وقد عقدت عزمها على شيء: لماذا لا تمكثين معي إذا كانت هذه رغبتك؟ ماذا يمنعك من أن تسيري معي قليلاً في الخارج؟

- أوه! لا، لا، لا أستطيع أن افعل هذا.

- لماذا؟

- لأن أمي ... أمي ...

وسكتت، فقالت سارة بهدوء: أنا أعرف أن من العسير على الأمهات أحياناً أن يدركن أن أبناءهن قد كبروا وأصبح في مقدورهم الاعتماد على أنفسهم، لكن من الخطأ الشديد أن يستسلم الإنسان لمثل هذه النزوات. يجب على الابن أو الابنة في سن معينة أن تدافع عن حقوقها المشروعة.

فغمغمت كارول قائلة: إنك، إنك لا تعرفين حقيقة الظروف التي نعيش فيها.

- مهما تكن هذه الظروف، فإن لكل إنسان قدراً معيناً من حرية التصرف، وإن عليه أن يدافع عن هذا القدر بكل ما يملك.

- الحرية... نحن لا نعلم ما هي هذه الحرية.

- إنني لا أصدق هذا.

- اسمعي، يجب أن أحاول شرح الأمر لك. لقد كانت أمي قبل زواجها من أبي... إنها في الواقع ليست أمي وإنما زوجة أبي فقط، كانت سجانة في سجن بنيويورك، وكان أبي مديراً لهذا السجن قبل أن يتزوجها ويستقيل ويستغل بالأعمال الحرة. حسناً، ومنذ تزوجت أبي وهي تمارس معنا مهنتها السابقة، تعاملنا كما يعامل السجنان المسجونين، وهذا ما يجعلنا نشعر أننا نعيش في سجن.

ثم تلفتت وراءها وقالت بسرعة: إنهم سيفتقدونني، يجب أن أعود بسرعة..

فأمسكت سارة بذراعها قبل أن تنفلت وقالت هامسة:  
انتظري لحظة، يجب أن نلتقي ثانية ونتحدث.

- لا، لا أستطيع.

- بل تستطيعين. تعالي إلى غرفتي بعد أن تأوي إلى  
فراشك، أنا في الغرفة رقم ٣١٩، لا تنسي هذا الرقم.

وتركت ذراعها، فانفلتت كارول عائدة لأسرتها.

وشردت أفكار سارة وهي تشيع الفتاة بنظراتها، ثم تنبهت  
على صوت الدكتور جيرار وهو يقول بجانها: طاب صباحك يا  
آنسة كنج، إذن فقد كنت تتحدثين مع الآنسة كارول بونتون.

- نعم، فقد تبادلنا أغرب محادثة يمكن أن تتصورها. دعني  
أسردها عليك.

ولما فرغت من سرد مضمون المحادثة عليه قال جيرار  
معلقاً على نقطة هامة في الحديث: إذن فقد كانت سجانة...  
تلك الخريتية القبيحة! إن هذا يفسر تصرفاتها القاسية مع أفراد  
الأسرة.

- هل تعني أن عملها السابق كسجانة هو السبب في  
طغيانها؟

- لا، وإنما العكس هو الصحيح. إنها لا تحب الاستبداد  
والطغيان لأنها كانت سجانة، وإنما حبها الغريزي للاستبداد  
والطغيان هو الذي دفعها للاشتغال بهذا العمل. في رأيي أنها  
امتهنت هذا العمل بدافع غريزي للسيطرة على غيرها من البشر،  
وأنا واثق من أنها تستمد سعادتها من رؤية الآخرين يتعذبون،

وكلما كان عذابهم نفسياً وفكرياً كانت سعادتها أشد.

وأحبرها جيرار بحدِيثه مع السيد كوب الأمريكي، وعندئذٍ قالت سارة مفكرة: هذا يعني أنه لا يعرف حقيقة ما يجري في محيط هذه الأسرة.

- وكيف يمكنه أن يعرف وهو ليس عالماً نفسياً.

- صدقت، إنه أمريكي عادي ينظر إلى الحياة من زواياها الواضحة البسيطة، وهو يؤمن بالخير ويعتقد أن أسرة بونتون من الأسر النموذجية المترابطة بوشائج الحب والوفاء، ويعتقد أن تصرفات السيدة بونتون نحو أفراد أسرتها نابعة من حبها لهم ورغبتها في حمايتهم من شرور الغير.

- أعتقد هذا.

- لكن لماذا يحاربون الهرب منها؟ إن هذا في مقدورهم لو أرادوا.

- لا، إنهم لا يستطيعون. لقد بذرت في نفوسهم منذ الطفولة أنهم لا يستطيعون الحياة بغير رعايتها وحمايتها. لقد عرفت بقسوة شخصيتها كيف تسيطر على أفكارهم وتخضعها لإرادتها. إنهم الآن كالتائمين مغناطيسياً الذين لا يستطيعون إلا أن ينفذوا رغبات المنوم، وإن طول إقامتهم في سجن شخصيتها قد جعلهم عاجزين عن محاولة الخروج من هذا السجن، حتى لو كانت أبوابه مفتوحة أمامهم.

صمت جيرار برهة قبل أن يردف قائلاً: وإن واحداً منهم على الأقل قد فقد الرغبة في التحرر... إنه المسكين لينوكس.

فقالت سارة في ضيق: كان ينبغي على زوجته نادين أن تفعل شيئاً من أجله، كان يجب أن تدفعه لتحطيم قيوده والخروج للحياة الواسعة.

- من يدري؟ لعلها حاولت وفشلت.

- أعتقد أنها أيضاً خاضعة لسيطرة هذه الشيطانة؟

- لا، لا أعتقد أن للمرأة الطاغية سيطرة عليها، ولهذا فإنها تحقد عليها حقداً قاتلاً. راقبي نظراتها إليها.

وفجأة قالت سارة بحماس: إن هذه المرأة العجوز يجب أن تقتل، وإني لأنصح بأن توضع لها كمية من الزرنيخ في قرح شاي الصباح! ثم تابعت تقول بلهجة جادة: وماذا عن الابنة الصغرى ذات الشعر الذهبي والابتسامة الذاهلة!

وقطب جيران جبينه وقال: لا أعلم، فالواقع أن الأمر هنا يختلف وإن كان شاذاً أيضاً. إنها ابنة المرأة العجوز... ابنتها الحقيقية.

- نعم، وهذا يجعل الموقف معها مختلفاً.

- لا أظن أنه يختلف كثيراً، بل لعل سيطرة الأم على هذه الابنة أقوى من سيطرتها على بقية أفراد الأسرة.

\* \* \*

تساءلت سارة في نفسها، بعد أن تجاوزت الساعة منتصف الليل: ترى هل ستأتي كارول كما طلبت منها؟

وفيما هي تشغل نفسها بإعداد قرح من الشاي قبل أن

تأوي إلى الفراش، إذا باب الغرفة يفتح، وإذا بكارول تدخل على أطراف أصابعها. وقالت بأنفاس لاهثة: كنت أخشى أن أجدك نائمة.

فردت سارة بصوت هادئ: أنا في انتظارك. تعالي واشربي معي قدحاً من الشاي.

قالت كارول بعد أن هدأت نفسها: هل تتصورين أننا لم نذهب في حياتنا إلى مدرسة!

- إلى هذا الحد؟

- نعم، كان المدرسون الخصوصيون يعلموننا في البيت. بل إننا لم نر الدنيا إلا في هذه الرحلة فقط.

- لا شك أنكم سعداء بها جداً.

- أوه! جداً، جداً. إننا نعيش كأننا في حلم جميل، وكل ما نخشاه أن نستيقظ بعد أيام فنجد أنفسنا داخل السجن مرة أخرى.

- ولكن... ما دمتم غير سعداء في العيش مع هذه «الأم»، فلماذا لا تنفصلون عنها؟

قالت كارول بخوف: أوه! لا... كيف يمكننا هذا؟ أعني أنها لن تسمح لنا بهذا إطلاقاً.

- ولكنها لا تستطيع أن تمنعكم، فأنتم قد بلغت جميعاً سن الرشد.

- إنني في الثالثة والعشرين من عمري.

- تماماً.

- ومع ذلك فإني لا أدري أين أذهب أو ماذا يمكن أن أفعل خارج البيت.

ورأت سارة أن تغير الموضوع بعد أن أشفقت على الفتاة المعذبة، ومن ثم قالت: هل تحبين زوجة أبيك هذه؟

وهزت كارول رأسها ببطء، ثم قالت بصوت هامس مرتعد بالخوف: بل إنني أكرهها، وكذلك ريموند. وكثيراً ما تمنينا موتها.

وثانية غيرت سارة الموضوع فقالت: حدثيني عن أخيك الأكبر.

- لينوكس؟ لا أدري ماذا دهى لينوكس! إنه لا يكاد ينطق بكلمة الآن. إنه يعيش كأنه في حلم أو في يقظة حالمة، وزوجته نادين تشعر بالقلق البالغ من أجله.

- أنت تحبين زوجة شقيقك، أليس كذلك؟

- نعم، إن نادين مختلفة عن زوجة أبي. إنها دائماً عطوفة ورفيقة، وهي أيضاً غير سعيدة.

وصمتت كارول برهة قبل أن تستطرد قائلة: أنا لا أعتقد أن زوجة أبي تحب نادين، إن نادين غريبة الطباع بعض الشيء، وأهم ما يميزها أنك لا تعرفين حقيقة مشاعرها. إن وجهها لا ينم عما يجري في داخل نفسها أو عقلها. وقد حاولت كثيراً أن تساعد أختنا الصغرى، جيني، على احتمال هذه الحياة، ولكن زوجة أبي كانت تضيق بهذه المساعدات وترفضها.

- تقصدين جنيفرا، أختك الصغرى؟

- نعم، جنيفرا، هي أختنا من أبنائنا.

- وهل هي غير سعيدة أيضاً؟

- إن جيني تبدو غير عادية في الأيام الأخيرة، وأنا لم أعد أفهمها. إنها رقيقة مرفهة كما ترين، وأمها تهتم بها أكثر من اللازم، وهذا يزيد من سوء حالتها ومن شعورها بالقييد.

وفجأة نهضت كارول وقالت: لا يجب أن أزعجك أكثر من هذا. إنني شاكرة لك هذه الفرصة التي أتحت لي فيها الحديث معك، ولا شك أنك ستعتقدين أننا أسرة عجيبة جداً.

فقالت سارة ببساطة: إن كل إنسان لا يخلو من غرابة الطباع في كثير من الحالات. أرجو أن تزوريني مرة أخرى، ويمكنك أن تصحبي أخاك ريموند إن شئت.

فهمت كارول بابتهاج: هل يمكنني هذا حقاً؟

- نعم، وسوف ندبر أمر مساعدتكم سراً. وأرجو أن أقدمكم إلى صديق لي... الدكتور جيرار، وهو طبيب فرنسي مشهور.

واضطرم وجه كارول وهي تقول: ما أجمل هذا وأروع، ولكنني أخشى أن تكتشف زوجة أبي أمرنا.

وكادت سارة أن تنطق بعبارة قاسية ضد تلك المرأة الطاغية، ولكنها كتمت مشاعرها وقالت بهدوء: كيف يمكنها أن تعرف؟ طابت ليلتك يا عزيزتي كارول. غداً في مثل هذا الوقت نلتقي ثانية.

- نعم، نعم، لأننا قد نرحل بعد غد.  
- إذن، فليكن لقاءنا غداً في مثل هذا الوقت بالتأكيد.  
طابت ليلتك.

- طابت ليلتك، وشكراً جزيلاً.

وبوجه كله السعادة والرضا غادرت كارول الغرفة بهدوء،  
وسارت في الممر، ثم صعدت الدرجات إلى الطابق الأعلى  
حيث تقع غرفتها. وما كادت أن تفتح الباب وتدخل حتى  
تسمرت في مكانها من فرط الرعب. لقد رأت زوجة أبيها بسمتها  
المفزعة، جالسة في مقعد وثير بجوار المدفأة وقد ارتدت ثوباً  
قرمزيّاً ضاعف من بشاعة منظرها.

وتركزت نظرات السيدة بونتون النارية على وجهها وهي  
تقول لها: أين كنت؟

- أنا... أنا كنت... أنا...

- أين كنت؟

فارتعدت كارول وهي تسمع هذا الصوت الذي يشبه فحيح  
الأفعى، فلم يسعها إلا أن تعترف قائلة: كنت أزور الأنسة كنج...  
سارة كنج.

- أهى نفس الفتاة التي تحدثت إلى ريموند هذا المساء؟

- نعم يا أماه.

- هل اتفقتما على اللقاء ثانية؟

وتحركت شفتا كارول بكلمة «نعم» دون أن يصدر الصوت.

فقلت السيدة بونتون: متى؟

- غداً في مثل هذا الوقت.

- عليك ألا تذهبي. هل تفهمين؟

- نعم يا أماه.

- عديني بهذا.

- أعدك يا أماه.

ثم نهضت السيدة بونتون بمشقة من مقعدها، فأسرعت  
كارول آلياً إلى مساعدتها. فقلت العجوز وهي تغادر الغرفة  
متوكئة على عصاها: عليك ألا تتصلي بهذه الأنسة كنج إطلاقاً،  
أفهمين؟

- نعم يا أماه.

\* \* \*

- هل أستطيع التحدث معك لحظة؟

استدارت نادين بسرعة حين سمعت هذه العبارة، فإذا هي تجد نفسها في مواجهة شابة مجهولة لديها تماماً، وإن كانت على جانب كبير من الجمال.

فقالت نادين آلياً وهي تتلفت حولها بقلق: نعم، طبعاً.

- إن اسمي سارة كنج.

- أوه، حسناً.

- سيدة لينوكس، سوف أخبرك بأمر عجيب. لقد تحدثت مع أخت زوجك مدة طويلة في الليلة قبل الماضية.

فطافت سحابة قلق بوجه نادين وهي تقول: تحدثت... مع جيني؟

- لا، بل مع كارول.

فانقشعت سحابة القلق من وجه نادين وقالت في شيء من الارتياح: أوه، فهمت، مع كارول. لكن كيف أمكنك هذا؟

- جاءت إلى غرفتي بعد منتصف الليل.

فارتفع حاجبا نادين في دهشة ثم قالت: لا شك أن هذا التصرف كان غريباً في نظرك يا آنسة كنج؟

- لا، لأنني أنا التي دعوتها.

- أوه، ما أسعدني بهذا. أنا سعيدة بصدافتك لكارول.

- لقد تفاهمنا معاً بسرعة واتفقنا على اللقاء ثانية في الليلة الماضية لكن كارول لم تأت.

- لم تأت؟

- نعم. وقد مررت بها أمس في بهو الفندق وتحدثت إليها همساً لأذكرها بالموعد، لكنها لم تجب عليّ وإنما نظرت إليّ بسرعة ثم استدارت واندفعت بعيداً عني.

- أهكذا؟

ولم تستطع سارة أن تستمر في حديثها، ومن ثم قالت نادين: إن كارول فتاة مرهقة الأعصاب جداً.

- أنا طيبة يا سيدة لينوكس، ولهذا أرى أن عزلة أختك عن المجتمع يضرها نفسياً وبدنياً.

- إذن فأنت طيبة؟ إن هذا يجعل الموقف مختلفاً. أعني يمكنني التحدث معك بصراحة.

- شكراً، لكن هل أدركت ما أعني؟

- نعم، لكن حماتي في حالة صحية سيئة، وهي تكره أشد الكراهية أن يتدخل الغرباء في شؤوننا الخاصة.

- لكن كارول راشدة ومن حقها أن تتصرف كما تشاء.

فهزت نادين رأسها وقالت: إنها بالغة الرشد سنأً وجسمأً ،  
أما عقلاً فلا ، ولعلك لاحظت هذا أثناء حديثك معها. إنها  
تتصرف كطفل خائف في حالات الطوارئ.

- هل تعتقدين أن هذا ما حدث؟ هل امتلاً قلبها خوفاً فلم  
تحضر في الموعد؟

- يبدو لي يا أنسة كنج أن حماتي اكتشفت علاقتك بها  
فحرمت عليها الحديث معك.

- وهل استسلمت كارول لأوامرها؟

- هل يمكنك أن تتصورى أن في مقدورها أن تفعل غير  
هذا؟

أدرت سارة من نظرات نادين أنها ليست على استعداد  
لمواصلة الحديث في هذا الموضوع ، كما أدرت أنها خسرت  
أول جولة ضد المرأة الطاغية. فصاحت في النهاية: إن هذا كله  
خطأ... خطأ.

لم تقل نادين شيئاً ، لكن نظراتها كانت تدل على أنها تعرف  
هذه الحقيقة ، وتعرف أيضاً أنه لا أمل في إصلاح هذا الخطأ.

وفتح باب المصعد الذي كانتا واقفتين أمامه وخرجت منه  
السيدة بونتون متوكئة على عصاها ومعتمدة على ذراع ريموند.  
فجفلت سارة قليلاً حين شاهدت نظرات المرأة العجوز تنتقل  
من وجهها إلى وجه نادين ، وأسرعت هذه إلى حماتها وشقيق  
زوجها تاركة سارة واقفة بمفردها.

قالت سيدة بونتون لنادين: أهذه أنت يا نادين؟ حسناً ،

لسوف أجلس وأستريح قليلاً قبل أن أخرج.

وجلست نادين بجوارها تنصت إليها وهي تسألها قائلة: مع من كنت تتحدثين يا نادين؟

- مع نزيلة هنا تدعى سارة كنج.

- آه، الفتاة التي تحدثت مع ريموند في تلك الليلة، حسناً. لماذا لا تذهب وتحدث معها يا ريموند الآن؟ إنها هناك عند مائدة الكتابة في قاعة المكتبة.

وارتسمت على وجه العجوز ابتسامة خبيثة وهي تتأمل ريموند. كان وجه الشاب قد اضطرم بشدة وأشاح برأسه وهو يتمتم بكلمات غامضة.

- لماذا لا تجيب يا ولدي؟

- إنني لا أريد أن أتحدث معها.

- أحقاً أنك لا تريد أن تتحدث معها أم أنك لا تستطيع رغم لهفتك إلى الحديث معها؟

ثم أخذتها نوبة سعال حاد، فلما هدأت قالت لنادين: إنني مستمتعة بهذه الرحلة يا نادين، وما كنت لأحرم نفسي منها بأي ثمن.

- حسناً يا أماه.

- ريموند!

- نعم يا أماه.

- أحضر لي ورقة كتابة من قاعة المكتبة.

مضى ريموند مطيعاً ، وراحت نادين ترقب المرأة العجوز وهي تتأمل ريموند بنظرات أفعوانية وابتسامة خبيثة. ومشى ريموند قرب سارة فرفعت هذه وجهها مشرقاً بالأمل ، لكن الأمل انطفأ فجأة حين مضى في طريقه حيث تناول بضع أوراق بيضاء وعاد بها إلى زوجة أبيه وقد شحب وجهه وتصبب العرق على جبينه.

فنهدت العجوز بارتياح وهي تتأمل وجه الشاب. وفجأة رأت نظرات نادين مركزة عليها، فاستشاطت غضباً وقالت: لقد نسيت تناول دواء القلب، هاتيه لي يا نادين.

- بكل تأكيد.

وعبرت نادين البهو إلى المصعد فشيعتها السيدة بونتون بنظرات أفعوانية. أما ريموند فقد ظل جالساً ووجهه ينطق باليأس العميق.

وصعدت نادين إلى الطابق العلوي، فمشت في الممر وعبرت غرفة الجلوس في جناح الأسرة، فرأت لينوكس جالساً في صمت بجوار النافذة وقد فتح كتاباً لا يقرأ فيه. ولما شاهد نادين قال متنبهاً من شروط أفكاره: آه، نادين؟

- لقد جئت لأحضر نقط القلب لوالدتك، فقد نسيتها.

ودخلت غرفة نوم السيدة بونتون، وهناك وضعت في نصف كوب ماء عدد النقط المطلوبة تماماً من قنينة صغيرة، ولما عادت إلى غرفة الجلوس توقفت وقالت: لينوكس!

ومرت برهة قبل أن يجيب، وكأن نبرات صوتها كانت تأتي إليه من بعيد.

فوضعت نادين الكوب بعناية على منضدة قريبة، ثم وقفت بجوار زوجها وقالت له: لينوكس! انظر إلى ضوء الشمس... هناك، خارج النافذة. انظر إلى الحياة! أليست جميلة؟ في مقدورنا أن نستمتع بها بدلاً من بقائنا في هذا المكان.

فقال ببلادة: أنا آسف، هل تريدان أن نخرج لنتمشى قليلاً؟

فقالت بسرعة: نعم، أريد أن أخرج معك لنتمشى في الحياة... لنعيش حياتنا سعيدين في أي مكان.

فانكمش في مقعده وبدت في عينيه نظرات الطائر الذي وقع في الشبكة، ثم قال: نادين، يا عزيزتي، هل يجب أن نعود إلى الحديث في هذا الأمر مرة أخرى؟

- نعم، يجب أن نمضي لنعيش حياتنا في مكان ما.

- كيف يمكن هذا ونحن بلا مال؟

- يمكننا أن نكسب ما نحتاجه من مال.

- كيف يمكننا هذا. ماذا أستطيع أن أفعل؟ إنني لا أحسن

القيام بعمل لكسب المال، إنني بلا مؤهلات وهناك آلاف من الشبان والرجال المؤهلين للعمل لا يجدون أعمالاً، فكيف أستطيع أنا؟

- سوف أكسب ما نحتاج إليه كلانا.

- يا طفلي العزيزة! إنك لم تظفري بشهادتك في التمريض.

إن هذا هو المستحيل، ليس أمامنا أي أمل.

- لا، إن حياتنا هذه هي المستحيلة، لا أمل فيها.

- إنك لا تعرفين ماذا تقولين. إن أمنا تعاملنا بكرم، إنها تحيطننا بكل ألوان الترف.

- إلا الحرية. لينوكس، يجب أن تحاول. تعال معي اليوم...  
الآن.

- نادين، هل جنت؟

- لا، أنا عاقلة، عاقلة تماماً. إنني أريد الحياة، أريد أن أنعم بالحرية معك في ضوء الشمس مع الناس وليس في ظل هذه الطاغية التي تستمد سعادتها من شقائنا. أصغ إليّ يا لينوكس، إنني أحبك، وإن بيني وبين زوجة أبيك معركة حياة أو موت. فهل ستقف بجانب أم بجانبها؟

- بجانبك طبعاً.

- إذن افعل ما أطلبه منك.

- هذا مستحيل.

- لا، ليس مستحيلاً يا لينوكس. إننا لم نعد أطفالاً بل في إمكاننا الآن أن ننجب أطفالاً.

- إن أمي تريد هذا، وقد تمنته كثيراً.

- أعرف، ولكنني لن أنجب أطفالاً ليعيشوا معنا في هذا السجن. إن أمك تستطيع أن تؤثر عليك لكنها لا تستطيع هذا معي.

فغمغم لينوكس قائلاً: إنك تثيرين غضبها أحياناً، وليس هذا من الحكمة في شيء.

- إنها تغضب حين تتبين عجزها عن السيطرة عليّ.

وبعد برهة صمت قالت: هل ترفض إذن أن تخرج معي من هذا السجن إلى الحياة. حسناً، لن أرغمك. ولكنني حرة في الخروج منه، وأعتقد أن هذا ما سوف أفعله.

فحملق فيها مدهوشاً وتمتم قائلاً في تلعثم: لكن، لكن، لكن أمي لن توافق على هذا.

- إنها لا تستطيع أن تمنعني.

- ومن أين لك المال؟

- سوف أقترضه أو أستجديه أو أسرقه... وعليك أن تفهم يا لينوكس أنه ليس لأمك أي سلطان عليّ. أستطيع أن أمضي أو أبقى حسب رغبتني، وقد بدأت أشعر أنني لم أعد أطيق البقاء هنا أكثر من هذا.

- نادين، لا تركيني! أرجوك، لا تركيني.

وعاد يكرر ذلك حين رآها تنظر إليه مفكرة دون أن يعبر وجهها عن شيء. وكان ملهوفاً كطفل خائف، وأشاحت بوجهها حتى لا يرى الألم العميق الذي ارتسم في عينيها. فركعت هي بجانبه قائلة: إذن تعال معي. تعال معي! إنك تستطيع، نعم، إنك تستطيع لو أردت.

لكنه تراجع عنها بعيداً وتمتم قائلاً: لا أستطيع. ليست لي الشجاعة على مواجهة الحياة.

\* \* \*

عندما دخل الدكتور جيرار مكتب كاسل للسياحة وجد سارة كنج واقفة هناك. وقد بادرتة قائلة بعد أن أَلقت عليه تحية الصباح: إنني أتفق مع مدير المكتب على رحلة إلى مدينة البتراء الأثرية، وقد بلغني أنك ذاهب إليها أيضاً.

- نعم، لقد وجدت أن في مقدوري الذهاب إليها.

- إنني سعيدة بهذا.

- ترى هل ستكون جماعة كبيرة العدد؟

- يقولون إن هناك امرأتين أخريين وأنت وأنا والمرشد السياحي في عربة واحدة.

فانحنى جيرار وقال: إنني سعيد بهذا أيضاً. ثم التفت إلى مدير المكتب وأتم إجراءات القيام بالرحلة.

وبعد قليل عاد فانضم إلى سارة وهو يمسك ببيده الخاص، وغادر المكتب إلى الخارج حيث كان الجو صافياً والهواء منعشاً وإن كان على شيء من البرودة.

وسألها جيرار قائلاً: ما هي أبناء أصحابنا آل بونتون؟ لقد

أمضيت الأيام الثلاثة الأخيرة في زيارة الأماكن التاريخية.

فراحت سارة تسرد عليه مجهوداتها الفاشلة لتوطيد علاقتها ببعض أفراد عائلة بونتون، ثم اختتمت حديثها قائلة: ولكني فشلت في محاولاتي على أية حال وسوف يرحلون عن الفندق اليوم.

- إلى أين؟

- لا أعرف.

ثم أردفت قائلة باستياء: إنني أشعر بحماقتي في تصرفاتي مع هذه الأسرة!

- لماذا؟

- إن محاولة التدخل في شؤون الغير حماقة كبرى!

فهز جيران كتفيه وقال: العبرة بالهدف من هذا التدخل. إذا كان الهدف خيراً فلا بأس. وأعتقد أنك أردت التدخل في شؤون هذه الأسرة بدافع من العطف على بعض أفرادها البؤساء.

- ولكنني لم أنجح في شيء.

- وماذا لو أنك واصلت مجهوداتك؟

- هل تعتقد أن هناك أملاً لي في مساعدة ريموند؟

- نعم.

فتنهدت سارة وقالت: كان يجب أن أواصل المحاولة، لكن الوقت قد فات!

\* \* \*

كان بهو الفندق مسرحاً لنشاط كبير بسبب استعداد عدد من النزلاء للقيام ببعض الرحلات إلى الأماكن الأثرية. وأمام باب الفندق الكبير كان ثمة عدد من السيارات المحملة بالأمثلة تتأهل للانطلاق، وكان لينوكس بونتون وزوجته نادين والسيد كوب واقفين أمام سيارة فارغة يشرفون على إعدادها للرحيل.

وفي البهو رأت سارة السيدة بونتون جالسة في مقعد وملتفة بمعطف كبير في انتظار البدء بالرحيل، وشعرت باشمئزاز غريب وهي تنظر إلى تلك المرأة التي بدت لها كرمز للشر والقسوة. وفجأة أحست بالعطف عليها... لقد تذكرت أن هذه المرأة ولدت هكذا، وأن الميل الشديد إلى السيطرة والاستبداد نشأ معها منذ طفولتها، وأن على الإنسان أن يلتمس لها بعض العذر وأن يشفق عليها ويحاول أن يفهم ظروفها. ولو أن أبناءها (أو أبناء زوجها على الأصح) نظروا إليها بعين سارة في تلك اللحظة لأشفقوا عليها ورثوا الحالها، لأن سارة كانت تراها من زاوية جديدة، من زاوية جعلت المرأة في نظرها مخلوقة تستحق العطف والثناء... مخلوقة حمقاء شريرة بطبعها، عجوزاً سيئة الصحة.

فتقدمت سارة نحوها بجرأة وقالت لها: طاب يومك يا سيدة بونتون، أرجو أن تكوني قد استمتعت برحلة جميلة.

وألقت العجوز عليها نظرات امتزج فيها الشر مع الغضب المكبوت، ثم أشاحت بوجهها دون أن تجيب. وهنا قالت سارة: إنك تعامليني بخشونة لا مبرر لها يا سيدة بونتون.

وقالت لنفسها: ما هذه الحماسة يا سارة؟ وما لك ولهذه العجوز الغريبة عنك؟! وهنا استطردت قائلة للعجوز: إنك

تحاولين أن تمنعيني من صداقة ريموند وكارول. ألا تدركين أن هذه محاولة صبيانية حمقاء؟ إنك تريدان أن تجعلني من نفسك صنماً يعبد، لكنك في الواقع مخلوقة تستحق الرثاء والشفقة، ولو كنت مكانك لتخليت عن كل هذه الحركات المسرحية. ولا شك أن ستزدادين كراهية لي بسبب هذه الصراحة، لكنني لست نادمة لأنني أرجو أن تعيدي النظر في تصرفاتك وتحاولي أن تسعدي نفسك بإسعاد الناس حولك.

وتوقفت سارة عن الحديث برهة. وكانت السيدة بونتون قد تجمدت في مقعدها، وبذلت محاولات جمّة لتقول شيئاً لكن لسانها ظل يلحق شفتيها الجافتين دون أن تتمكن من قول كلمة بصوت مسموع.

وعادت سارة تقول في تحد: تكلمي! قليني ما شئت، إنني لن أهتم بما ستوجهينه إليّ من عبارات قاسية. لكن لا تنسي أن تفكري دائماً فيما قلت لك، حاولي أن تستمدي سعادتك من إسعاد الذين حولك.

وأخيراً خرجت الكلمات من شفتي العجوز في صوت خافت متحسرج نافذ، وكانت نظراتها وهي تتكلم غير مركزة على وجه سارة وإنما إلى شيء خلفها وكأنها كانت تتحدث إلى شبح: إنني لا أنسى أبداً، تذكرني هذا! إنني لا أنسى شيئاً أبداً، لا أنسى تصرفاً، ولا اسماً، ولا وجهاً!

ولم تكن الكلمات نفسها تعبر عن شيء معين، ولكن الصوت كان رهيباً مفزعاً. وكانت الضحكة الجوفاء التي أعقبته أشد رهبة وإفزعاً مما جعل سارة تتراجع خطوة، ثم تقول وهي

تهز كتفيها: يا لك من مخلوقة عجوز بائسة!

واستدارت عنها إلى المصعد، وفيما هي تتجه إليه إذا بها تكاد تصطدم بريموند، وإذا هي تقرر بغتة أن تتحدث إليه. فقالت باسمه: طاب صباحك، أرجو أن تكون قد نعمت بإقامتك هنا، ولعلنا نلتقي ثانية ذات يوم.

ثم مرت بجانبه في سرعة. وتسمر ريموند في مكانه وقد استغرق تماماً في أفكاره بحيث لم يستطع أن يفسح الطريق للرجل القصير الأصلع ذي الشارب الكبير الذي كان يحاول الخروج من المصعد في تلك اللحظة أكثر من مرة. فقال الرجل القصير لريموند: عن إذنك.

فترجع ريموند وقد أفاق بغتة وقال: عذراً، لقد كنت مشغول الفكر.

فأقبلت كارول عليه وقالت له: ريموند، اذهب وعد بجيني. لقد صعدت إلى غرفتها ولم تعد بعد.

- حسناً، سوف أخبرها بأننا على وشك الرحيل.

وتقدم ريموند إلى المصعد، فوقف الرجل القصير الأصلع هيركيول بوارو ينظر إليه برهة وقد رفع حاجبيه، ومال قليلاً برأسه كأنما ينصت إلى شيء، وأخيراً أوماً برأسه كأنما رضي عن شيء ما. ثم مضى إلى البهو ونظر بإمعان إلى كارول التي انضمت إلى زوجة أبيها.

وأشار بوارو إلى أحد خدم الفندق، ثم سأله وهو يوميئ برأسه إلى السيدة بونتون وكارول: هل يمكن أن تخبرني باسم

هذه السيدة الجالسة هناك؟

- إنها السيدة بونتون وأسرتها، أمريكيون.

- شكراً.

وفي الطابق الثالث، وبينما كان الدكتور جيرار متجهاً نحو غرفته، رأى ريموند وجنيفر في طريقهما إلى باب المصعد للهبوط. وعند الباب قالت جنيفرا لريموند: انتظرني هنا لحظة يا ريموند.

ثم أسرع راجعة ولحقت بالدكتور جيرار عند منعطف الممر الطويل فأمسكت بذراعه وقالت في لهفة وخوف: إنهم سيأخذونني بعيداً، وقد يقتلونني. أنا لست واحدة منهم. إن اسمي ليس بونتون!

ثم أردفت قائلة بسرعة بالغة: سوف أفضي إليك بسر خطير، إنني من عائلة مالكة، وارثة لعرش دولة كبيرة، ولهذا فإن الأعداء يحيطون بي من كل جانب. إنهم يحاولون قتلي بالسم، أيمن أن تساعدني؟

وابتعدت عنه حين سمعت وقع أقدام ريموند ثم صوته وهو يقول: جيني...

فنتظرت في لهفة وتوسل إلى جيرار ثم قالت لأخيها: أنا آتية حالاً يا ريموند.

ولما انصرفت رفع الدكتور جيرار حاجبيه، وهز رأسه وقد خامره إحساس بالأسف الشديد.

\* \* \*

كان ذلك الصباح هو الموعد المحدد لبدء الرحلة إلى مدينة البتراء، وقد رأت سارة حين هبطت لتستقل العربة المأجورة المجهزة للرحلة سيده في منتصف العمر كبيرة الأنف، سبق أن لمحتها في الفندق. وكانت السيدة تعترض على حجم العربة المأجورة وتقول لمندوب المكتب السياحي بلهجة احتجاج: إن هذه السيارة لا توفر لنا الراحة اللازمة لرحلة طويلة، ولهذا أصر على أن تستبدل بها عربة واسعة مريحة.

ولما استدارت ورأت سارة قالت لها: آه! أنسة سارة كنج؟ إنك زميلتنا في الرحلة بهذه السيارة. ما رأيك؟ أليست أصغر من أن توفر لنا الراحة المطلوبة؟ أنا الليدي وستولم.

فقالت سارة بحذر: أعتقد أنك على حق يا ليدي وستولم.

ولم يسع المندوب الشاب لمكتب السياحة إلا أن يقبل في النهاية إحضار سيارة مأجورة أكبر حجماً من تلك التي اعترضت عليها الليدي وستولم.

وكانت هذه السيدة، الليدي وستولم، شخصية معروفة في الوسط السياسي بإنجلترا. وكان زوجها اللورد وستولم قد تزوجها

أثناء عودته بالباخرة من رحلته إلى أمريكا. ولما كان هو بطبيعته وادعاً مسالماً يهوى الصيد بكل أنواعه، فقد قررت هي أن تحل محله في مجلس اللوردات، وأن تقتحم الميدان السياسي إرضاء لنزعتها في الميل إلى الجدل والمناقشة والاشتراك في المناورات السياسية التي تسقط وزاره وتقيم أخرى.

ولما أقبل الدكتور جيرار قدمته سارة إلى الليدي وستولم التي قالت له وهي تصافحه بحرارة: إن اسمك ليس غريباً عني، لقد كنت أتحدث مع البروفسور شانتو في باريس في الشهر الماضي، وقد تحدثنا عن بحوثك في علم النفس. ونحن نبادل الرأي فيما ينبغي أن تفعله الحكومات المتحضرة من أجل المرضى بالأمراض العقلية والنفسية. هل ندخل إلى البهو لنتنظر السيارة الأخرى؟

وأقبلت في تلك اللحظة الراكبة الرابعة، الأنسة إميلي بيرس، وكانت آنسة في منتصف العمر وديعة الخلق متوسطة الجمال، مترددة في أحاديثها. وقد عرفت سارة فيما بعد أنها كانت مربية أطفال، ولما ورثت من عمها الراحل ثروة صغيرة انتهزت أول فرصة للقيام برحلة خارج إنجلترا.

فقالت الليدي وستولم حين جلس الركاب الأربعة في بهو الفندق: أنت طيبة يا آنسة كنج، أليس كذلك؟

- نعم، تخرجت هذا العام.

- آه! إننا، معشر النساء، نغزو الآن جميع المجالات، ولست أشك في أن آمال البشرية في السلام والرخاء سوف تتحقق على أيدينا.

ووصلت السيارة الكبيرة ومعها المرشد المرافق، فانطلقت بهم في رحلتها الطويلة. وعند الظهر توقفت في استراحة على ضفة البحر الميت ليتناول الركاب الغداء، ولما استؤنفت الرحلة شعرت سارة بالندم على القيام بها، فقد خامرها إحساس عميق بالضيق والملل وهي تسمع صوت الليدي وستولم المرتفع وغمغمة الأنسة إميلي بيرس الخجولة وثرثرة المرشد، بل ضاقت بابتسامة الدكتور جيرار الذي كان يعرب بها عن فهمه لما يدور في نفسها.

وتساءلت في نفسها: أين ذهب آل بونتون! لعلهم رحلوا إلى سوريا، وربما وصلوا إلى بعلبك أو دمشق... وريموند؟ ترى ماذا يفعل الآن؟ إنها تتخيل وجهه بوضوح، وجهه الملهوف المتوتر الأعصاب.

آه! لماذا تمعن التفكير في أسرة ربما لن تراها أو تلتقي بها ثانية في حياتها. وإنما لتتذكر حديثها مع السيدة بونتون. لا شك أن هناك من سمعها، فقد كانت الليدي وستولم جالسة في البهو عند ذلك.

كانت هذه الأفكار تشغل ذهن سارة وهي جالسة في حديقة فندق بمدينة عمان في اليوم التالي من بدء الرحلة، وقد قطع عليها أفكارها هذه الدكتور جيرار حين جاء من الخارج وجلس بجوارها قائلاً وهو يمسح بمنديله العرق عن وجهه: بالله! إن هذه المرأة يجب أن تموت مسممة.

- من؟ السيدة بونتون؟

- لا، أعني الليدي وستولم. لا أعلم كيف استطاع زوجها

أن يحتملها كل هذه السنوات؟

فضحكت سارة وقالت: إنه يقضي معظم وقته في الصيد والرياضة.

- لولا هذا لمات غماً!

- لا شك أنه فخور بنشاط زوجته السياسي.

- بل قولي سعيد، لأن هذا النشاط يشغلها عنه!

\* \* \*

وفيما كانت السيارة تقطع طريقاً صحراوياً تمتد الرمال والجبال على جانبيه إلى مدى البصر قالت الأنسة إميلي لسارة: إن الإنسان ليتمنى لو رأى بعض الأشجار الظليلة هنا أو هناك، ولكنني أعتقد مع هذا أن هذا الفضاء الرحيب رائع في ذاته. أليس كذلك يا آنسة كنج؟

فأومأت سارة برأسها وقالت: نعم، إن هذا الفضاء رائع فعلاً.

ودارت تفكيرها حول الفضاء. إنه يثير الإحساس بالسكينة والهدوء، ليس فيه بشر يملؤون النفس بالضيق والاكتئاب، ليس فيه مشاكل نابغة من علاقات الإنسان بغيره. إنها الآن تشعر بالخلاص من أسر عائلة بونتون، تشعر بالخلاص من رغبة التدخل في شؤون أشخاص بعيدين عنها كل البعد، وإن هذا الشعور ليملاً نفسها بالسكينة والرضا. هنا وحدة وعزلة وفراغ وفضاء، هنا في الواقع سلام وصفاء.

ووصلت السيارة بهم إلى قرية عين موسى حيث كان من المقرر أن يتركوها ليستأنفوا الرحلة على ظهور الجياد، فنظرت الآنسة إميلي إلى هذه الركائب في قلق لأنها لم تستعد لها بملابس الركوب. لكن الليدي وستولم كانت تعرف سلفاً أنها ستقطع الجزء الأخير من الرحلة على ظهر الحصان، فاستعدت بملابس الركوب.

واقطعت الجياد بركابها عبر القرية إلى ممر صخري وعر كانت الأحجار تتساقط على جانبيه كلما مرت عليه الجياد بحوافرها. وكانت الشمس قد مالت تماماً عند خط المغيب، ولكن الجو ظل حاراً خانقاً. وكانت سارة لا تزال تشعر بالتعب من جلوسها في السيارة حتى بلغ من فرط شعورها بالإرهاق حد التخدير، ومن ثم كان يخيل إليها أنها تسير في حلم.

وأضيت المصاييح، وظلت الجياد في مسيرها، وبعثة انتهى الممر إلى واد فسيح تراجعت عنده التلال والروابي، وعلى مسافة غير بعيدة في الوادي رأّت مجموعة من الأضواء. وقال المرشد: هذا هو المعسكر.

فأسرعت الجياد في خطوها، وازدادت الأضواء اقتراباً، وأصبح من الممكن رؤية الخيام المتناثرة على ضفة نهر صغير كانت أضواء المعسكر تتراقص على صفحة مائه.

واستطاعت سارة وهي تزدداد قريباً من المعسكر أن ترى على الصخور المرتفعة فوقه فتحات كهوف أعدتها سلطات المدينة لتكون غرفاً للنوم لمن يكره من السياح أن ينام في الخيام. وسارع بعض عمال مكتب السياحة إلى استقبال الوافدين، لكن سارة

ظلت مثبتة نظراتها على باب أحد الكهوف المرتفعة لأنها رأَت فيه شبحاً جالساً بلا حراك.

ترى ماذا يكون؟ أهو صنم أم تمثال أثري منحوت أمام باب ذلك الكهف؟ لا، إن انعكاس الضوء عليه جعله يبدو ضخماً رهيب المنظر. إنه ولا شك مجرد تمثال من الحجر، يطل على المعسكر في رهبة وصمت. وبغته خفق قلبها بعنف حين تبينت حقيقة ذلك التمثال، إنه لم يكن تمثلاً من حجر وإنما من لحم ودم، إنه لم يكن غير تلك المرأة العجوز البدينة السيدة بونتون.

وشعرت سارة بإحساس الأسير الذي خُيل إليه أنه ظفر بحريته بينما لم يكن في الواقع إلاّ عائداً إلى الأسر.

\* \* \*

إن السيدة بونتون هناك... في البتراء.

وراحت سارة تجيب آلياً عن الأسئلة التي وجهها مندوب مكتب السياحة في المدينة: هل تريد أن تتناول العشاء فوراً؟ هل تحب أن تغتسل أولاً؟ هل تفضل النوم في خيمة أو في كهف؟

فأجابت على السؤال الأخير بسرعة: في خيمة.

لأن مشاهدتها لتلك العجوز الرهيبة وهي جالسة أمام باب كهف جعلها تنفر من مجرد النوم في واحد منها، فقالت لنفسها: إن شيئاً ما في هذه المرأة يجعلها تبدو غير آدمية.

وأخيراً تبعت أحد العمال العرب، وكان يرتدي بنطلوناً خاكي اللون وسترة خاكية وعلى رأسه عقال، فأعجبت سارة بالخفة التي يسير بها العامل العربي مع رفع رأسه عالياً في كبرياء وثقة بالنفس. وأحست حين دخلت خيمتها أنها قد بلغت من التعب حداً كبيراً، لكن الماء الساخن الذي اغتسلت به خفف من شعورها بالتعب وأعاد إليها ثقتها بنفسها، مما جعلها تخجل من فزعها حين رأت السيدة بونتون.

ثم تركت الخيمة وهبطت إلى حديقة الاستراحة الكبيرة

حيث سمعت خلفها صوتاً يقول بدهشة ولهفة: أنت هنا؟

فلما استدارت بسرعة رأته أمامها ريموند بونتون يكاد يخرج عن طوره من فرط الدهشة الممزوجة بالسعادة. كان كالإنسان المعذب الذي شاهد بعتة باب الجنة يفتح له. وإن سارة لم تنس في حياتها كلها، بعد ذلك، هذه النظرة.

صاح الشاب قائلاً مرة أخرى: أنت؟

ونفذت نبرات الصوت السعيد الملهوف إلى أعماق نفسها، وجعلت قلبها يتراقص في صدرها، فقالت بصوت متهدج: نعم، أنا.

وتقدم نحوها في ذهول الذي لا يصدق عينيه، فتناول يدها بين يديه بعتة وقال: إنك أنت حقاً؟ فقد خيّل لي أنني أرى شبحك فقط... طيفك.

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً: إني أحبك، أحبك. أنت تعرفين هذا، أحبتك منذ شاهدتك أول مرة في القطار. إني أعرف هذا الآن، وأحب أن تتأكدي منه حتى تعلمي أن تصرفاتي غير اللائقة نحوك إنما كان لها سبب خارج عن إرادتي. بل إني قد أكرر هذه التصرفات هنا أيضاً، فقد أمر بك دون أن أحدثك أو أورد على حديث لك وكأني لا أعرفك. إنها حين تطلب مني أن أفعل شيئاً فلا بد أن أفعله، احتقريني إن شئت.

فقالت بصوت كله عدوية: إني لا أحتقرك يا ريموند.

- ولكنني رغم هذا إنسان ضعيف، يجب... يجب أن أتصرف كرجل، نعم، هذا ما ينبغي أن أفعله.

- إنك ستفعل هذا يا ريموند.

فرد قائلاً في حزن: أحقاً؟ ربما.

- إن الشجاعة لا تنقصك، أنا واثقة من هذا.

وشد قامتة فرفع رأسه عالياً ثم قال بصوت حازم: الشجاعة.  
نعم، إن هذا هو ما أحتاج إليه، الشجاعة.

ثم انحنى وقبل يدها، وبعد لحظة استدار وانصرف.

\* \* \*

في حديقة الاستراحة شاهدت سارة زملاء السفر الثلاثة  
جالسين إلى طاولة يأكلون، وكان المرشد السياحي يقول لهم  
إن في المنطقة جماعة أخرى من السياح جاؤوا منذ يومين  
وسيرحلون بعد غد. إنهم أسرة أمريكية، الأم بدينة جداً، وقد  
تحملنا مشقة بالغة في حملها على مقعد إلى هذه المنطقة.

فقالت الليدي وستولم: لا شك أنها تلك الأسرة الأمريكية  
التي شاهدتها في فندق الملك سليمان. إنني لا أنسى منظر الأم  
العجوز البدينة التي رأيتك تتحدثين إليها يا آنسة كنج.

فاضطرم وجه سارة وخشيت أن تكون الليدي وستولم قد  
سمعت طرفاً من ذلك الحديث الشاذ. لكن الليدي استطردت  
تقول: إنها أسرة عادية جداً ومتحفظة إلى أقصى حد.

اجتمع الأربعة في السادسة من صباح اليوم التالي على  
طاولة الإفطار، ولم يكن ثمة أثر لأسرة بونتون في ذلك الوقت.  
وبعد أن فرغوا من الطعام خرجوا معاً لرؤية الأماكن الأثرية،

وما كادوا يبتعدون عن المعسكر حتى سمعوا شخصاً يهتف بهم ويطلب منهم أن يسمحو له بالانضمام إليهم. وكان ذلك الشخص الجديد هو السيد جيفرسون كوب، الذي قال وهو يلهث: إذا لم يكن لديكم مانع فإني أحب الانضمام إليكم. طاب صباحك يا آنسة كنج. إنها مفاجأة سارة أن أراك هنا يا دكتور جيرار. ما رأيك في هذا المنظر؟

وأشار إلى الصخور الحمراء التي تتكون منها المدينة الأثرية. فردت سارة قائلة: إن منظرها رهيب، فقد كنت أتخيلها دائماً على أنها «المدينة الوردية»، لكن لونها يشبه لون اللحم البقري الأحمر.

ومشى السائحون بقيادة اثنين من الأدلاء العرب في المنطقة الأثرية الوعرة، فراحوا يصعدون الصخور الحمراء عن طريق ممرات متعرجة شديدة الارتفاع حيناً منبسطة أحياناً. وكانت الأنسة إميلي بيرس لا تكف عن الشكوى قائلة إنها لا تستطيع النظر إلى أسفل من مكان مرتفع.

وقال الدكتور جيرار للدليل محمود: هل تجد مشقة دائماً في قيادة بعض السائحين الكبار سناً؟

فرد محمود بابتسامة هادئة: نعم، ولكنهم يصرون دائماً على الصعود، برغم ما ينالهم من الإرهاق.

وتنهدت سارة في ارتياح عندما وصلوا جميعاً إلى القمة، وكانت المنطقة الصخرية الحمراء تمتد أمامهم وأسفلهم في جميع الاتجاهات. وانفصلت سارة عن زملائها وتجولت بعيداً عنهم بعض الشيء، وفيما هي واقفة فوق مرتفع مستغرقة

في التفكير، إذا بالدكتور جيرار يقف بجوارها يقول: إن شيئاً هاماً يشغل بالك.

فرفعت إليه وجهاً كله حيرة وقالت: نعم، إنني أفكر في أن الموت يكون أحياناً حلاً لمشكلات كثيرة.

فهزّ الدكتور جيرار رأسه وقال: إننا معشر الأطباء لا ننظر إلى الموت إلاّ من زاوية واحدة، وهي زاوية العداء، إنه عدونا الأول.

وقبل أن ترد عليه وصل إليها السيد كوب الأمريكي وقال: إن هذه المنطقة رائعة فعلاً، وأنا سعيد بمشاهدتها. إن السيدة بونتون مخلوقة ممتازة لأنها هي التي أصرت على الحضور لنشاهدها جميعاً، ولولا هذا لما حضرت. إنها سيدة طيبة القلب، لكن صحتها ليست على ما يرام، وهذا ما يجعلها تبدو غليظة الطبع أحياناً. والسفر معها يضاعف المشقة ولكنها تصر على أن تصحب أبناءها إلى كل مكان، إنها من فرط رعايتها لهم لا تحب أن تتركهم بعيداً عن عينيها.

ثم عاد يقول: إلاّ أنني سمعت شيئاً عنها منذ مدة قريبة.

وكانت سارة قد عادت إلى الاستغراق في أفكارها، وكان صوت السيد كوب يصل إلى أذنيها كأنه خرير جدول بعيد. أما الدكتور جيرار فقد قال للسيد كوب: وما هذا الذي سمعت؟

- حدثتني سيدة قابلتها في فندق بمدينة طبرية أن خادمة كانت تعمل في قصر السيدة بونتون، ثم اكتشفت أنها حامل. ولم تغضب السيدة بونتون، وإنما تحايلت على الخادمة، ثم طردها قبل أن تضع مولودها بشهر تقريباً.

ورفع الدكتور جيرار حاجبيه وقال: أهكذا؟

- نعم، إن السيدة التي أخبرتني بهذا واثقة مما تقول،  
وإنني لأعتبر هذا التصرف غاية في القسوة، ولا أدي لماذا؟  
فقاطعته جيرار قائلاً: المؤكد أن ما حدث قد أسعد السيدة  
بونتون كل السعادة.

فحملق السيد كوب في وجهه بدهشة وقال: أترى هذا؟ لا  
أظن. إن هذا التصرف ينطوي على قسوة غير إنسانية إطلاقاً.

فقال الدكتور جيرار: لقد قمت ببحوث عديدة عن العقل  
البشري، وانتهيت من هذه البحوث إلى أن العقل البشري لا  
يعرف، في حالات معينة، حدوداً للقسوة.

- أخشى أن تكون هذه مبالغة يا دكتور جيرار. آه، إن  
الهدوء هنا رائع جداً وسارة بعيدة عنه.

وعاد جيرار ينظر إلى سارة، فرآها مستغرقة في التفكير  
مقطبة الجبين. وسمع الأنسة إميلي بيرس تقترب منه قائلة: إننا في  
طريق العودة. أوه، أخشى أن أعجز عن الهبوط، لكن الدليل  
يؤكد لي أننا سنهبط من ممر آخر أقل انحداراً.

ولكن الأنسة بيرس استطاعت، رغم مخاوفها، أن تعود  
مع زملائها إلى المعسكر في موعد الغداء. وكانت الساعة قد  
تجاوزت الثانية بعد الظهر بقليل، وكانت أسرة بونتون قد فرغت  
من طعامها واستعدت لترك الطاولة بحديقة الاستراحة.

فقالت الليدي وستولم للأسرة موجهة الحديث لكارول:  
إن الصباح اليوم كان جميلاً جداً، والبتراء مدينة رائعة.

ونظرت كارول إلى زوجة أبيها ثم غمغمت قائلة: نعم، نعم. إنها حقاً كذلك.

وقالت الأنسة بيرس: سوف أستريح بعد الغداء لأنني لن أستطيع القيام بمجهود كبير بعدما تحملته من عناء هذا الصباح.

فقالت الليدي وستولم: ربما أفعل هذا أيضاً يا آنسة بيرس، سوف أستريح نحو ساعة ثم أقوم بجولة خفيفة لمدة ساعتين.

ونفضت السيدة بونتون ببطء عن مقعدها بمساعدة لينوكس، ثم وقفت وقالت لأفراد أسرتها: يحسن أن تقوموا جميعاً بجولة بعد ظهر اليوم لرؤية المنطقة.

فارتسمت الدهشة على وجوه أفراد أسرتها. وقال لينوكس في النهاية: وأنت يا أماه، ماذا ستفعلين؟

- إنني أشعر بتعب وصداع، ولهذا سأجلس وأتسلى بقراءة كتاب، أما جيني فستاوي إلى فراشها لتنام.

- أنا لست متعبة يا أماه، إنني أود الذهاب معهم.

- أنت متعبة وتعانين من صداع ويجب أن تحافظي على نفسك. اذهبي ونامي، فأنا أعلم ما ينبغي أن تفعله.

- ولكنني... ولكن...

وحاولت الفتاة أن تتمرد، لكنها لم تلبث أن أحت رأسها في استسلام وخضوع.

وقالت الأم: يا طفلي الحمقاء، اذهبي إلى خيمتك.

ومضت الفتاة غاضبة تضرب الأرض بقدميها، فانصرف  
بقية الموجودين والآنسة بيرس تقول: يا لهم من قوم غربيي  
الطباع! وتلك الأم... يا للون وجهها العجيب! إنها زرقاء اللون.  
لعله القلب، ولعل الحر يؤذيها.

وقالت سارة لنفسها: لقد تركتهم أحراراً الآن. وهي تعلم  
أن ريموند يريد أن ينفرد بي، فلماذا تتيح له هذه الفرصة، هل  
تنصب له شركاً؟

وفي نحو الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر عادت سارة  
إلى حديقة الاستراحة حيث رأت بقية زملائها جالسين: الليدي  
وستولم تتحدث مع الدكتور جيرار، والآنسة إميلي تقرأ في  
كتاب. وتطلع الجميع إلى الجرف العالي حيث كانت السيدة  
بونتون جالسة أمام مدخل كهفها ساكنة الحركة وكأنها تمثال  
بوذا، ولم يكن هناك على مرمى البصر أحد من موظفي السياحة  
غيرها، إذ كان الجميع في خيامهم.

وعلى مسافة أخرى كان ثمة جماعة يسرون مبتعدين،  
وقد أشار إليهم جيرار وقال: للمرة الأولى تسمح الأم العطوف  
لأبنائها وبناتها أن يتمتعوا بالحرية بعيداً عنها. لا شك أن هذا  
تطور جديد في تصرفها.

فقالت سارة: أتعلم أن هذا هو نفس ما كنت أفكر فيه.

- يا لنا من أناس مرتابين! هل ننضم إليهم؟

وسرعان ما لحقا بأفراد عائلة بونتون، وكانت السعادة  
لأول مرة تملأ صفحات وجوههم. كان لينوكس ونادين وكارول  
وريموند والسيد كوب يضحكون ويتحدثون في مرح، ولم يلبث

أن شاركهم فيه جيرار وسارة عند انضمامهما إليهم.

كان كل منهم يحاول أن يستمتع بقدر الإمكان بهذه اللحظات السعيدة النادرة. وقد مشت سارة مع لينوكس وكارول في المقدمة، فراح ريموند يتحدث مع الدكتور جيرار خلفهما، وفي النهاية مشت نادين مع السيد كوب يتبادلان الأحاديث.

وبغثة سمعت سارة الدكتور جيرار يقول بصوت خافت متوجع وهو يتوقف: معذرة، يجب أن أعود إلى المعسكر.

ف نظرت إليه سارة قائلة: هل ألمّ بك شيء يا دكتور جيرار؟

- نعم، الحمى. لقد كنت أشعر بها تسري في دمي منذ ساعة الغداء.

وفحصته سارة بنظراتها وقالت: الملاريا؟

- نعم، سأعود لخيمتي لأحقن نفسي بعقار الكينين. أرجو ألا تكون هذه النوبة عنيفة. لقد أصبت بالمرض أثناء زيارتي للكونغو.

- هل آتي معك؟

- لا، لا. إن معي حقيبة أدواتي وعقاقيري، ولا أريد حرمانك من متعة هذه الرياضة الآن.

وعاد مسرعاً في الطريق للمعسكر، ونظرت إليه سارة برهة، ثم التقت عينها بعيني ريموند فابتسمت له، وما لبثت أن نسيت كل شيء عن جيرار.

واستمر الجميع معاً برهة قصيرة، لينوكس ونادين، وكارول وسارة، وريموند والسيد كوب.. لكن سارة استطاعت على نحو ما أن تنفصل مع ريموند عنهم جميعاً، فمشت معه حتى وصلا إلى أقرب بقعة ظليلة، حيث جلسا يستريحان.

وقال ريموند بعد برهة صمت: أتتصورين أنني لا أعرف اسمك حتى الآن؟ أعني اسمك الأول يا آنسة كنج.

- سارة، سارة كنج.

- هل يمكن مناداتك بسارة فقط؟

- طبعاً، طبعاً.

- سارة... هل يمكن أن تحدثيني عن نفسك؟

فاعتمدت بظهرها إلى صخرة، ثم باشرت بالحديث عن حياتها في يوركشير وعن كلابها وعن هوايتها وعن عمتها التي قامت على تربيتها. وبعد ذلك راح ريموند يحدثها، بكلمات متقطعة، عن حياته البائسة مع زوجة أبيه. وأعقب هذا صمت طويل تماسكت خلاله أيديهما، وجلسا وكأنهما طفلان صغيران هائنان بصحبة أحدهما للآخر.

ولما بدأت الشمس تنحدر نحو المغيب تحرك الشاب وقال: لسوف أعود الآن. لا، ليس معك، سوف أعود بمفردي، فإن لدي عملاً يجب أن أقوم به. سأثبت لنفسي أنني لست جباناً، وفي هذه الحالة لن أخجل من التقدم إليك بطلب يدك والتماس مساعدتك، لأنني سأكون في حاجة إلى المساعدة... وربما أحتاج إلى اقتراض بعض المال.

فابتسمت سارة قائلة: يسعدني أنك واقعي في تفكيرك،  
ويمكنك أن تعتمد عليّ.

- ولكن يجب أولاً القيام بهذا العمل بمفردي.

- أي عمل؟

فارتسمت علامات الحزم على وجه الشاب وهو يقول:  
إثبات شجاعتي. فإما أن فعل هذا الآن أو أبقى عبداً إلى الأبد.

ثم وثب واقفاً فاستدار ومضى مسرعاً نحو المعسكر.  
وترأخت سارة إلى الصخرة وراحت ترقبه وهو يبتعد بخطى تنم  
عن العزيمة والإصرار. وشعرت بالجزع وهي تتذكر كلماته، فقد  
شعرت أن فيها تصميم الإنسان الذي ينوي أن يقوم بعمل طائش  
أو متهور. وتمنت لو أنها ذهبت معه، ولكنها قررت البقاء. لقد  
أراد ريموند أن يقوم بعمله بمفرده ليختبر مدى شجاعته، وتمنت  
بكل جوارحها ألا تخذله شجاعته في اللحظة الأخيرة.

كانت الشمس في أفق المغيب حين أشرفت سارة على  
المعسكر عند عودتها، وفي ضوء الغروب الخافت رأت السيدة  
بونتون لا تزال جالسة في مقعدها أمام كهفها. وارتجفت سارة  
قليلاً وهي ترى ذلك الجسم البدين الرابض كتمثال رهيب يرمز  
للشر والقسوة، فأسرعت تمشي في الممر السفلي، ووصلت إلى  
حديقة الاستراحة حيث رأت الليدي وستولم تعمل في أشغال  
الإبرة والأنسة بيرس مشغولة بقطعة التطريز وعمال المكتب  
السياحي يروحون ويجيئون لإعداد طعام العشاء. أما آل بونتون  
فكانوا جالسين في الطرف الآخر من الحديقة يقرؤون.

ودخلت سارة خيمتها فغسلت وجهها، وعند عودتها

وقفت أمام خيمة الدكتور جيران ونادته بصوت خافت، فلما لم تسمع إجابة رفعت حافة الخيمة ودخلت فرأته نائماً بلا حراك، فانسحبت مسرعة وهي ترجو أن يكون مستغرقاً في النوم.

وأقبل نحوها أحد العمال العرب وقال إن العشاء معد. ولما وصلت إلى الطاولة كان الجميع حولها فيما عدا الدكتور جيران والسيدة بونتون، وكان أحد العمال قد أرسل للعجوز ليخبرها بأن العشاء معد.

وبغنة حدثت ضجة وأسرع اثنان من العرب إلى الدليل محمود، فاضطرب بشدة وأسرع في طريقه إلى السيدة بونتون. ورأت سارة أن تلحق به وتسأله: ماذا حدث؟

- يقول عبده أن السيدة لا تتحرك؟

- سأتي معك لأرى ماذا حدث؟

وأسرعت سارة إلى السيدة بونتون وأمسكت يدها، ثم انحنت عليها، ثم اعتدلت وقد شحبت وجهها. ولما عادت إلى الجالسين حول الطاولة قالت بصوت مرتجف موجهة الكلام إلى لينوكس: يؤسفني أن أقول لك... أن أمكم قد ماتت.

وتلقى أفراد الأسرة النبأ في ذهول من لا يصدق أذنيه، وفجأة أخذوا يتهدون وكأنهم لم يتلقوا نعيًا بل بشرى.

\* \* \*

حيى الكولونيل كاربري ، عمدة مدينة عمان ، ضيفه الجالس أمامه عبر الطاولة ، فابتسم بوارو ورد على التحية بمثلها.

ثم حدث كاربري بوارو عما حدث للسيدة بونتون في البتراء ، وعن نقل جثمانها إلى عمان ، وعن احتمال كون الوفاة ناشئة عن مشقة الرحلة وحرارة الجو مع إصابتها بمرض القلب. ولكنه تابع يقول: غير أنني أشك في أفراد أسرتها ، فقد علمت من مختلف المصادر أنها كانت تعاملهم بقسوة... أعني أنها كانت تسيطر عليهم سيطرة السجنان على المسجونين ، ولهذا فإن هناك احتمالاً كبيراً في أن أحد هؤلاء الأفراد أو جميعهم قد اشتركوا في القضاء عليها.

فقال بوارو بهدوء: ألم يكن في البتراء عندئذٍ أحد الأطباء؟

- كان هناك اثنان. طبيب أمراض عصبية مشهور هو الدكتور جيرار وطبيبة حديثة التخرج هي الأنسة كنج ، لكن الدكتور جيرار كان مريضاً بنوبة ملاريا عند وفاة السيدة بونتون.

- تقول إن الضحية كانت مريضة.

- نعم ، بالقلب. وكانت تتناول نقط القلب بانتظام.  
- إذن ما الذي جعلك تشك في أن موتها ليس طبيعياً؟  
- إنه الدكتور جيرار. ويحسن أن أستدعيه لتسمع أقواله  
بنفسك.

وبعد أن أرسل الكولونيل أحد جنوده لاستدعاء الدكتور  
جيرار قال له بوارو: كم عدد أفراد هذه الأسرة؟

- إنها أسرة بونتون: الأم المتوفاة، وابنان أحدهما متزوج  
وزوجته شابة جميلة، وابتان، الصغرى منهما متوترة الأعصاب  
جداً، ربما من الصدمة.

ورفع بوارو حاجبيه وقال: بونتون... بونتون؟ هذا عجيب،  
عجيب جداً.

ودخل الدكتور جيرار فقدمه الكولونيل كاربري إلى بوارو  
قائلاً: هذا هو السيد هيركيول بوارو. لقد جاء إلى عمان لمهمة  
خاصة وكنت أتحدث معه عن حادثة مدينة البتراء.

وبعد أن تناولوا الأحاديث عن موضوع الحادثة وارتياح  
الكولونيل كاربري في أنها غير طبيعية قال الكولونيل للدكتور  
جيرار: أحب أن تخبر السيد بوارو بما أخبرني به في هذا الشأن  
يا دكتور جيرار.

- قد أكون واهماً في استنتاجي... لكنني مضطر لأن أذكر  
ما لاحظت. كنت أعاني من نوبة ملاريا في ذلك الوقت، فلما  
عدت إلى خيمتي بحثت عن الحقنة طويلاً فلم أجدها، وأخيراً  
اضطرت إلى تناول كمية من حبوب الكينين.

وبعد برهة صمت تابع الدكتور جيران يقول: لقد اكتشف موت سيدة بونتون بعد غروب الشمس بقليل، وقد رجع هذا لطريقتها في الجلوس، فقد ماتت وهي جالسة فلم يكتشف أحد موتها إلا حين ذهب أحد العمال ليخبرها بأن طعام العشاء معد، وكان ذلك الساعة السادسة والنصف.

وبعد أن وصف الكهف وحديقة الاستراحة تابع يقول: وقد فحصت الأنسة كنج، الطبيبة المؤهلة، العجثة وتأكدت من الوفاة، ولكنها لم تشأ أن توقظني من النوم لعلمها بحالتي. ولم يكن هناك ما يمكن فعله بعد التأكد من موت السيدة بونتون.

فقال بوارو: كم من الوقت كان قد مضى على وفاتها عند اكتشاف الأمر؟

- إن الأنسة كنج لم تهتم كثيراً بتحديد الوقت باعتبار أنه أمر ليس له أهمية خاصة.

- إذن متى كانت السيدة بونتون حية آخر مرة؟

فنظر الكولونيل كاربري في ملف أمامه ثم قال مجيباً عن هذا السؤال: لقد تحدثت الليدي وستولم والأنسة بيرس مع السيدة بونتون في نحو الساعة الرابعة والنصف، وبعد نحو خمس دقائق تحدثت معها السيدة لينوكس حديثاً طويلاً. وتبادلت كارول حديثاً عابراً مع زوجة أبيها في وقت لم تستطع أن تحدد، ولكنه كان، بأقوال الشهود، يقترب من الخامسة وعشر دقائق.

وتابع الكولونيل كاربري قراءته من الملف قائلاً: وحين عاد السيد جيفرسون كوب، صديق العائلة، مع الليدي وستولم والأنسة بيرس إلى المعسكر بعد جولتهما، رأى السيدة بونتون

من بعيد نائمة فلم يشأ أن يزعجها، وكان ذلك في نحو الساعة السادسة إلا ثلاثاً. ويبدو أن الشاب ريموند، الابن الأصغر، كان آخر من تحدث إلى السيدة بونتون وهي حية، إذ تحدث معها بعد عودته من جولته المسائية، وكان ذلك في نحو السادسة إلا عشر دقائق. وقد اكتشفت الوفاة في السادسة والنصف حين ذهب أحد عمال المكتب السياحي ليخبرها بأن العشاء معد.

فسأله بوارو قائلاً: ألم يقترب منها أحد أبداً بعد انصراف ريموند عنها حتى لحظة اكتشاف وفاتها؟  
- لا.

- معنى هذا أن ريموند كان آخر شخص تحدث إليها وهي على قيد الحياة.

وتبادل الكولونيل النظرات مع الدكتور وجيرار ثم قال له:  
استمر في حديثك يا دكتور جيرار.

- إن الأنسة كنج لم تجد أهمية لتحديد وقت الوفاة، وإنما اكتفت بقولها أنها توفيت منذ «مدة وجيزة»، ولكن عندما حاولت أنا -عرضاً- أن أحدد وقت وفاتها عملياً وقلت في حديثي إن ريموند كان آخر من حدثها وهي حية، وكان ذلك في الساعة السادسة إلا عشر دقائق، قالت الأنسة كنج بحماس أن هذا لا يمكن لأن السيدة بونتون كانت ميتة قطعاً قبل السادسة إلا عشر دقائق.

فرفع بوارو حاجبيه وقال: عجيب... هذا عجيب جداً.  
وماذا قال ريموند في هذا الشأن؟

فرد الكولونيل كاربري: لقد أقسم بأن زوجة أبيه كانت على

قيد الحياة حين تحدث إليها، وقال إنه ذهب إليها وخبرها أنه عاد من جولته، أو شيئاً من هذا القبيل، وإنها تمتمت بكلمات قليلة مثل: "حسناً... حسناً"، ثم عاد إلى خيمته.

فقطب بوارو جيئنه وقال: عجيب، عجيب جداً. وهل كان الجو مظلماً بعض الشيء عندئذٍ؟

- كانت الشمس قد غربت في تلك اللحظات.

- عجيب. وأنت يا دكتور جيرار، متى شاهدت الجثة؟

- في صباح اليوم التالي، في التاسعة تماماً.

- وماذا كان تقديرك عن ساعة الوفاة؟

فهز الدكتور جيرار كتفيه وقال: من العسير أن أحدد الوقت بعد مرور أكثر من اثنتي عشرة ساعة على الوفاة، وإذا طلبت للشهادة فيمكنني القول إن الوفاة حدثت قبل التاسعة صباحاً بما لا يقل عن اثنتي عشرة ساعة وبما لا يزيد على ثماني عشرة ساعة، وهذا كما ترى لا يساعد في شيء.

قال الكولونيل كاربري: حسناً يا دكتور جيرار، اذكر للسيد بوارو ما تعرفه بعد ذلك.

- حين استيقظت في صباح اليوم التالي وجدت المحقن على طاولة الزينة، خلف مجموعة من الزجاجات المختلفة... ربما يقول أحدهما إنني غفلت في البحث عن الحقنة في هذا المكان، ولكنني أؤكد لكما أن المحقن لم يكن موجوداً في ذلك الموضع حين بحثت عنه في المساء السابق. أنا واثق من هذا رغم حالة الحمى التي كنت أعانيها.

فقال الكولونيل كاربري: وهناك شيء آخر يا دكتور.

- نعم، هناك حقيقتان لهما أهميتهما، فقد لاحظت وجود علامة على معصم يد السيدة بونتون تشبه العلامة التي تحدثها وخزة إبرة المحقن. وقد فسرت ابنتها كارول وجود هذه العلامة قائلة إنها حدثت من وخزة دبوس.

- حسناً، والحقيقة الثانية؟

- عندما فحصت محتويات حقيبة الأدوية والعقاقير وجدت أن كمية كبيرة من عقار الديجيتوكسين ناقصة من القنينة!

- الديجيتوكسين؟ إنه سم للقلب، أليس كذلك؟

- نعم، إنه أحد مستحضرات الديجيتالا، وهناك أربعة مستحضرات طبية من هذا العقار: الديجيتالين والديجيتونين والديجيتالين والديجيتوكسين. وهذا الأخير هو أشدها ضراوة على القلب، وطبقاً لبحوث الدكتور كوبس فإنه أشد تأثيراً على القلب بنسبة ستة إلى ثمانية أمثال المستحضرات الأخرى.

- وما هو تأثير جرعة كبيرة منه؟

- إن جرعة كبيرة من الديجيتوكسين إذا حُقنت في الدم تؤدي إلى الموت الفجائي بالسكتة القلبية، والمعروف أن أربعة ملليجرامات منه كافية لقتل الإنسان البالغ.

قال بوارو: وكانت السيدة بونتون تعاني قبل موتها من مرض القلب؟

فرد الطبيب: نعم، وكانت تتناول دواء يحتوي على نسبة قليلة من الديجيتالين.

- أتعني أن موتها كان بسبب جرعة كبيرة من هذا العقار؟

قال الدكتور جيرار: بل أعني أكثر من هذا... إن الديجيتالين إذا أحدث الموت لا يترك أثراً يدل عليه عند تشريح الجثة ما دام المريض قد اعتاد أن يعالج به.

- نعم، هذه براعة، براعة كاملة، ولن يستطيع أحد عند المحاكمة أن يثبت أن في الأمر جريمة. وهذا يعني أن المجرم (إذا كانت هناك جريمة حقاً) له عقلية بارعة، عقلية حادة الذكاء، عقلية جعلت صاحبها يعرف كيف يضع خطة محكمة ثم ينفذها بدقة بالغة.

ثم صمت برهة وقال: لكن شيئاً واحداً يحيرني.

- ما هو؟

- سرقة المحقن.

فقال الطبيب: لقد أخذ من مكانه.

- أخذ وأعيد.

- نعم.

- إن هذا ما يحيرني.

فنظر إليه الكولونيل كاربري في دهشة وقال: هه! ما رأيك؟ هل في الأمر جريمة؟

- نحن لم نصل بعد إلى مرحلة الإجابة عن هذا السؤال، لأن لديّ أنا، هيركيول بوارو، دليلاً يجب أن أذكره بشأن الحادث.

- لديك أنت؟

فابتسم في وجهيهما المدهوشين وقال: نعم، لديّ أنا. ففي ذات ليلة، وأنا في فندق الملك سليمان، كنت على وشك إغلاق نافذة غرفتي عندما سمعت شخصاً ما يقول هذه الكلمات بصوت عصبي: "ولهذا كله يجب أن تُقتل". ولم أهتم بما سمعت على أساس أنها كلمات يقرأها شخص ما في رواية أو في مسرحية. أما الآن فإنني واثق من أن الأمر كان أكثر جدية مما حسبت.

وصمت برهة قبل أن يقول: وقد تبينت بعد ذلك أن قائل هذه الكلمات شاب رأته أمام مصعد الفندق، في البهو. وهذا الشاب، حين سألت عنه، علمت أنه يدعى ريموند بونتون.

فهتف الدكتور جيرار قائلاً: ريموند بونتون؟!!

- نعم.

وبعد برهة صمت قال الكولونيل كاربري: والآن، ماذا يمكننا أن نفعل؟

فهزّ جيرار كتفيه وقال: لا شيء. إن من العسير إثبات التهمة على ريموند حتى لو كان هو القاتل.

قال بوارو: هل يعني هذا أن نترك الأمر عند هذا الحد؟

فرد الطبيب ببطء: لقد كانت الميتة عجوزاً شريرة، وكان من المرجح أن تموت بداء القلب في خلال شهر أو شهرين على الأكثر. وإن موت هذه العجوز قد حرر من ربة الأسر أشخاصاً صالحين للعيش في المجتمع.

فقال بوارو: يعني أنك راضٍ عن هذا الوضع؟

وبغته ضرب الطيب الطاولة بيده وقال: لا، إنني كطيب لا يمكن أن أَرْضَى عن وضع كهذا مهما كانت نتائج الطيبة. إننا معشر الأطباء نعيش للمحافظة على حياة الآخرين بصرف النظر عن سلوكهم وأخلاقهم. إنني عاطفياً قد أقبل هذا الوضع، أما عقلياً فلا أَرْضَى إطلاقاً أن يموت إنسان قبل أن يُبذل في إبقائه حياً الجهد كله.

فابتسم بوارو بصمت وقال كاربري: أنا مثلك لا أحب جرائم القتل، مهما كانت مبرراتها. والآن، ما رأيك يا سيد بوارو في هذه الحالة؟

فقال بوارو: إنك يا كولونيل كاربري تريد أن تعرف من قتل السيدة بونتون (إن كانت قد قُتلت حقاً)، وتريد أن تعرف كيف ومتى وقعت الجريمة، أليس كذلك؟

- نعم، طبعاً.

- هذا من حَقك بطبيعة الحال.

- وهل في مقدورك أن تكتشف غموض هذه الجريمة؟

فقال بوارو بلا تردد: نعم، بكل تأكيد. لكن علينا أن نقرر: هل اشترك أفراد الأسرة جميعاً في هذه الجريمة أم أن الذي ارتكبها فرد واحد.

فقال الطيب: إن ما سمعته أنت من ريموند يحصر الجريمة في نطاقه هو.

- نعم، لا سيما وأنه كان آخر من تحدث إلى زوجة أبيه قبل موتها.

- لكن الأنسة كنج ترفض هذا الدليل.

فتبسم بوارو وقال: أخبرني يا دكتور جيرار، هل هناك...  
صلة عاطفية معينة بين ريموند والأنسة كنج؟

- نعم.

- وهل الأنسة كنج هي الشابة ذات الشعر الكستنائي  
والعينين العسليتين الواسعتين والشخصية القوية المرتسمة على  
وجهها؟

- نعم، إنها هي.

- لقد رأيت ريموند عند المصعد في فندق الملك سليمان  
يحملق فيها بدهشة، وكأنه يرى ملاكاً هابطاً عليه من السماء.  
ولكن أخبرني يا دكتور جيرار، هل تظن ريموند من الطراز الذي  
يمكن أن يرتكب ببساطة جريمة كهذه؟

فقال جيرار ببطء: نعم، في حالة اضطراب وتوتر عصبي  
شديد.

- وهل هذه الحالة قائمة؟

- نعم، إن هذه الرحلة جعلت أفراد الأسرة يشعرون  
بالفارق الكبير بين حياتهم السجينة في القصر وبين الحياة الرحبية  
في العالم الواسع. ولا شك أن حب ريموند لسارة قد ضاعف  
من شعوره بوجوب التخلص من المرأة التي تسجنهم.

قال كاربري كأنما تذكر شيئاً: وبهذه المناسبة يا سيد بوارو،  
إن الكلمات التي سمعتها من ريموند كان يقولها لشخص ما...  
أليس كذلك؟

- نعم، نعم، طبعاً. ولا شك أنه كان يتحدث إلى أحد أفراد الأسرة. لكن من هو هذا الفرد؟ أو من هي؟ هي يمكن يا دكتور جيران أن تذكر لي حالة أحد أفراد الأسرة تشبه الحالة التي كان عليها ريموند؟

- نعم، إنها أخته كارول. أما لينوكس فكان قد بلغ حالة من اليأس والرضوخ للأمر الواقع بحيث لم يكن يهمنه أن يتمرد عليه.

- وزوجته؟

- إنها رغم شعورها بالحزن واليأس والشقاء، إلا أنها لم تكن تعاني من الصراع العقلي. والواقع أنها كانت تفكر جدياً في الانفصال عن لينوكس.

ثم ذكر الحديث الذي جرى بينه وبين جيفرسون كوب، فأوماً بوارو برأسه وقال: وماذا عن الابنة الصغرى؟

- أعتقد أنها في حالة خطيرة من الناحية العقلية، فقد بدت عليها أعراض الانفصام العقلي وأصبحت تظن أنها شخصية خيالية. إن الكبت الذي تعانیه جعلها تهرب من الواقع إلى الخيال، لقد أخبرتني أنها من أسرة مالكة وأن الأعداء يحيطون بها ليقتلوها!

- وهذا يجعلها خطراً على الغير؟

- نعم، إن المريض بهذا المرض يلجأ أحياناً إلى القتل. إنه يقتل دفاعاً عن نفسه، يقتل حتى لا يدع أحداً يقتله.

- إذن فأريك أن جنيفرا قد تكون مرتكبة الجريمة؟

- نعم. ولكنني أظن أنها غير قادرة على تدبير أية جريمة  
بمثل هذا الإحكام. إن المريض بالانفصام العقلي يقتل بوسيلة  
بسيطة وبلا تدبير محكم.

- لكن هناك احتمالاً في أنها قد تكون القاتلة.

- نعم.

- هل تظن أن أفراد الأسرة يعرفون من هو القاتل؟

قال كاربري: لا أشك في هذا. إن كل شيء في تصرفاتهم  
يدل على أنهم يعلمون شيئاً مشتركاً.

فقال بوارو: سوف نجعلهم يخبروننا بكل ما يعرفون.

فرد كاربري قائلاً: ولكن عليك أن تنتهي من هذا الأمر  
بسرعة، لأننا لا نستطيع أن نحجزهم هنا وقتاً طويلاً.

فقال بوارو بهدوء: ستظهر الحقائق كلها غداً مساءً.

فحملق كاربري في وجهه وقال: أنت واثق بنفسك جداً.  
أليس كذلك؟

- لأنني هيركيول بوارو يا صديقي!

فتبسم كاربري وقال: إذا نجحت في هذا فسوف أعترف  
بأنك معجزة في البحوث الجنائية.

\* \* \*

ألقت سارة كنج نظرت فاحصة على هيركيول بوارو بينما قال هو: إننا نريد أن نعرف الحقيقة عن هذا الموضوع.

- تعني موضوع موت السيدة بونتون؟

- نعم.

- ألا ترى أنها زوبعة في فنجان؟ أم لعل تفكيرك الدائم في الجريمة والمجرمين جعلك ترتاب في...

فقاطعها بوارو قائلاً: من البديهي أن أرتاب في وقوع جريمة كلما كان هناك ما يبرر هذا الارتاب.

- وهل هناك ما يبرر ارتيابك في هذا الموضوع؟

- وهل تعتقد أن الوفاة طبيعية يا آنسة كنج.

فصمتت لحظة ثم قالت: لو أنك ذهبت إلى البتراء يا سيد بوارو لأدركت مدى المشقة التي يعانها المسافر إليها، ولا شك أن هذه المشقة يتضاعف تأثيرها على عجوز مريضة بالقلب.

- هل يعني هذا أن الأمر طبيعي من وجهة نظرك كطبيبة؟

- نعم ، وأنا لا أدري سر موقف الدكتور جيرار من الأمر ، فقد كان نائماً بسبب الملاريا حين ماتت السيدة بونتون. وأنا أعترف بأنه أكثر خبرة ودراية بالطب مني ، لكن ليس هناك الأساس الذي يستطيع به أن يثبت خطئي في تحديد وقت الوفاة. وإن في القدس أطباء شرعيين يمكنهم التأكد من صحة قراري إن عرضتم الأمر عليهم.

وصمت بوارو برهة قبل أن يقول: إذن فأنت لا تعرفين بعض الحقائق المعينة. إن الدكتور جيرار لم يخبرك...

- أية حقائق تعني؟

- لقد سرقت كمية من عقار الديدجيتوكسين من حقيبة أدوية الدكتور جيرار.

فأسرعت سارة وقد أدركت معنى هذا التطور الجديد في الموضوع: أوه! هل الدكتور جيرار واثق من هذا؟

- إن الأطباء كما تعلمين لا يلقون بأقوالهم جزافاً.

- نعم ، نعم. لكن هل لديه أية فكرة عن الشخص الذي أخذ هذا العقار أو عن الوقت الذي أخذ فيه؟

- إنه حتماً لا يعرف من الذي أخذ العقار ، لكنه واثق تماماً بأن جميع علب وزجاجات الأدوية كانت تامة عندما فتح الحقيبة ليلاً وصوله إلى البتراء ليأخذ بعض الأسبرين.

وصمت بوارو برهة قبل أن يردف قائلاً: ما رأيك في هذا الدليل؟

- إنه برأيي دليل ضعيف.

- كأنك تنصحيني بعدم القيام بأية تحركات أخرى بهذا الشأن.

- أظن أن أفراد آل بونتون تعذبوا في حياة الأم كثيراً، وليس من الإنسانية أن تزيد عذابهم بكل هذه الشكوك والتدابير.

فتبسم بوارو قائلاً: آه! كأنك ترين أن موت هذه الطاغية القاسية خير من استمرار بقائها حية.

فاضطرم وجه سارة وقالت: لا أستطيع الإجابة عن سؤال شاذ كهذا.

- أيأ كان أمر الضحية يا آنسة كنج، سواء أكانت ملاكاً أم شيطاناً، فإني لا أوافق على أن تقتل بيد فرد من أفراد ليست لهم سلطة المحاكمة القانونية.

- تقتل؟ ما هي الأدلة على هذا؟ إن الدكتور جيرار قد يكون مخطئاً في تقديره عن العقار، لا سيما وقد كان يعاني من حمى الملاريا.

- لكن هناك دليلاً أقوى يا آنسة كنج.

- أي دليل هذا؟

- علامة وخزة محقن على معصم السيدة بونتون، وكلمة سمعتها في ليلة وصولي إلى فندق الملك سليمان بالقدس وأنا أغلق نافذة غرفتي، وكانت الكلمات واضحة تماماً. هل تحبين سماعها يا آنسة كنج؟ حسناً، إنها: "لهذا كله يجب أن تُقتل!" وكان قائلها هو ريموند بونتون.

رأى وجه سارة يمتقع وهي تقول: هل سمعت هذا؟

- نعم.

- عجباً! ألا تراها مصادفة نادرة؟

- إن الحياة مجموعة مصادفات يا آنسة كنج.

- نعم، نعم.

- هل تساعديني؟

- بكل تأكيد.

- شكراً يا آنسة كنج. والآن، أريد أن أسمع منك شخصياً كل ما حدث في ذلك اليوم الذي ماتت فيه السيدة بونتون.

وفكرت سارة برهه ثم قالت: ذهبنا في جولة صباحاً، ولم يكن معنا أحد من آل بونتون، ولكنني رأيتهم في ساعة الغداء بحديقة الاستراحة، وكانت السيدة بونتون في حالة معنوية طيبة على غير العادة.

- معنى هذا أنها لم تكن كذلك في معظم الأحوال.

- بالعكس، لقد كانت دائماً متجهمة الوجه ضيقة الصدر.

ثم راحت تصف معاملة السيدة بونتون لأفراد أسرتها، وقد علق بوارو على هذا بقوله: وكان هذا التصرف برأيك غير طبيعي.

- نعم، إنها كانت تسجنهم حولها دائماً.

- هل تظنين إذن أن حالتها المعنوية الطيبة في ذلك الوقت هي التي دفعها لإطلاق سراحهم بضع ساعات؟

- لا .

- إذن ما استنتاجك؟

- إنها كانت تلهو بهم لهُو القط بالجرذان.

- ماذا تقصدين يا آنسة كنج؟

- إن القطة تستمتع برؤية الجرذ حين يحاول الهرب منها، وهي لهذا تطلقه قليلاً لتوهمه بأنه حر، ثم تنقض عليه. وفي رأيي أن السيدة بونتون لها نفس هذه العقلية، ولهذا كنت واثقة من أنها أرادت تحقيق هدف معين حين سمحت لهم بالتجول بعيداً عنها.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- لقد بدأ أفراد الأسرة تجوالهم.

- جميعاً؟

- لا، فقد تخلفت الابنة الصغرى جنيفرا لأن أمها أمرتها بأن تأوي إلى فراشها لأنها متعبة.

- وهل كانت ترغب في أن تأوي إلى فراشها؟

- لا، لكن هذا لا يهم، فما دامت الأم قد أمرت بذلك فلا بد من أن تطيع الابنة. وسار الباقون في الطريق إلى النزهة، وقد لحقنا بهم: الدكتور جيرار وأنا.

- متى كان هذا؟

- في نحو الثالثة والنصف بعد الظهر.

- وأين كانت السيدة بونتون عندئذ؟

- كانت نادين، زوجة لينوكس، قد عاونتها على الجلوس في مقعدها أمام الكهف.

- استمري في الحديث.

- بعد أن انعطفنا في الممر وسرنا مسافة قصيرة شعر الدكتور جيرار باشتداد أعراض الحمى، فقرر العودة. وكانت أعراض الحمى واضحة عليه مما دفعني لأن أقترح العودة معه لأساعده، لكنه رفض.

- ومتى كان هذا؟

- في نحو الرابعة.

- والباقون؟

- استأنفوا التجوال. وكنا كلنا معاً، ثم انقسمنا، فمشت نادين مع السيد كوب، وبقيت كارول مع لينوكس، ومضيت أنا مع ريموند.

- وأين ذهبت مع ريموند؟

- جلسنا في ظل شجرة وأخذنا نتأمل المناظر الطبيعية التاريخية، وبعدها انصرف ريموند وبقيت أنا برهة. وكانت الساعة الخامسة والنصف حين رأيت أن الوقت قد حان لرجوعي إلى المعسكر. وقد وصلت إليه في السادسة عند غروب الشمس.

- هل مررت بالسيدة بونتون في طريق عودتك؟

- لاحظت أنها لا تزال جالسة في كرسيها أمام باب الكهف.

- ألم تلاحظي شيئاً غريباً عليها؟

- لا ، لأنني رأيتها جالسة على هذا النحو في ليلة وصولنا إلى البتراء.

- حسناً ، وبعد ذلك؟

- ذهبت إلى حديقة الاستراحة ، وكان الجميع فيها فيما عدا الدكتور جيرار ، فدخلت خيمتي حيث غسلت وجهي . ولما عدت إليهم كان العشاء قد أُعدَّ وذهب أحد العمال ليخبر السيدة بونتون ، لكنه عاد مسرعاً قائلاً إنها مريضة جداً ، ولكنني حين أسرعت إليها وفحصتها وجدتها ميتة تماماً.

- ولم يخامرني أي شك في أنها ماتت ميتة طبيعية؟

- أجل ، لأنني علمت أنها كانت تشكو من مرض القلب.

- هل ظننت ببساطة أنها ماتت بالسكتة القلبية وهي جالسة؟

- نعم.

- هل تمكنت من تحديد كم مضى عليها وهي ميتة؟

- لم أفكر في هذا عندئذٍ ، وكل ما عرفته أنها كانت ميتة منذ مدة تزيد على ساعة ، وربما أكثر ، لأن انعكاس الحرارة على الصخور يجعل الجثة تبطئ في البرودة.

- عجباً يا آنسة كنج؟ ألا تعرفين أن ريموند قال إنه حدثها

قبل اكتشاف موتها بنصف ساعة؟

فهزت رأسها وأشاحت بعينيها عن عينيه وقالت: لا شك

أنه أخطأ في تحديد الوقت.

- لا يا آنسة كنج، إنه لا يمكن أن يخطئ في أكثر من نصف ساعة.

فزمت سارة شفيتها برهة ثم قالت: رغم أنني حديثة التخرج في كلية الطب إلا أن دراستي تجعلني واثقة من أقوالي، إن السيدة بونتون كانت ميتة قبل ساعة على الأقل حين فحصت جثتها.

فقال بووارو بغتة: كم مرة تحدثت إلى أفراد أسرة بونتون يا آنسة كنج؟

وفكرت سارة برهة ثم قالت: لا أعرف على وجه التحديد. فقد تحدثت مع ريموند في القطار الذاهب إلى القدس، وتحدثت مع كارول مرتين: مرة في مسجد عمر، والثانية في ساعة متأخرة بغرفتي، وتحدثت مع نادين في الصباح التالي. هذه هي المرات التي تحدثت فيها مع أفراد الأسرة حتى ما بعد ظهر اليوم الذي ذهبنا فيه جميعاً للنزهة في جبال البتراء.

- ألم تتحدثي مع السيدة بونتون إطلاقاً؟

فلم يسع سارة إلا أن تذكر له حديثها في بهو الفندق مع السيدة بونتون، وقد اختتمته قائلة: وأعتقد أنني كنت حمقاء في حديثي هذا.

- حسناً يا آنسة كنج، وشكراً. سوف أسمع الآن أقوال الآخرين.

ونفضت سارة لتنصرف، ولكنها توقفت فجأة ونظرت إلى

بوارو في تردد، وأخيراً قالت: عذراً يا سيد بوارو، هل يمكن أن أقترح شيئاً؟

- طبعاً، طبعاً. بكل تأكيد.

- لماذا لا تؤجل هذه التحقيقات كلها حتى تظهر نتيجة التشريح وتتأكد من أن شكوكك تقوم على أساس سليم؟

فقال بوارو بكل جرأة: هذه هي طريقة هيركيول بوارو في الكشف عن الجرائم الغامضة.

وكادت سارة تعرب له عن رأيها في غروره، ولكنها زمت شفيتها وانصرفت.

\* \* \*

دخلت الليدي وستولم الغرفة بثبات عابرة المحيطات، وكانت الأنسة بيرس ترفرف خلفها مثل مقطورة لا يمكنها السير بمفردها.

قالت الليدي وستولم بصوتها المرتفع: يسرني يا سيد بووارو أن أقدم لكم أية خدمة لتحقيق العدالة. إنني أضع نفسي دائماً في خدمة المجتمع الإنساني.

وبعد أن فرغت من حديثها الطويل عن واجب الإنسان نحو المجتمع الإنساني قال لها بووارو: أرجوك أن تذكري لنا: ماذا فعلت أو رأيت بعد ظهر يوم الوفاة؟

- نعم، نعم، بكل تأكيد. لقد قرنا، أنا والأنسة بيرس، أن نستريح قليلاً بعد طعام الغداء في خيمتنا.

- هل كانت السيدة بونتون جالسة أمام كهفها.

- نعم، لقد ساعدتها زوجة ابنها على الجلوس أمام الكهف قبل أن تمضي في جولتها.

- هل كان في مقدورك أن تشاهدها بجلاء؟

- نعم، إن الجرف الذي تقوم فيه كهوف النوم كان يرتفع قليلاً عن حديقة الاستراحة ويبعد عن خيامنا بنحو مئتي ياردة.

فبسط بوارو أمامه خريطة المعسكر وقال: طبقاً لهذه الخريطة أقول إن كهف لينوكس بونتون وزوجته كان يقع بجوار كهف السيدة بونتون مباشرة. أما كارول وريموند وجنيفرا فقد كانت لهم خيام تقع تحت جرف الكهف مباشرة وتواجه حديقة الاستراحة في الناحية المقابلة لخيامكم. أليس كذلك؟

- بلى.

- وعلى اليمين قليلاً من خيمة جنيفرا كانت تقع خيمة الدكتور جيرار، وبعدها خيمة الأنسة كنج. أما في الجهة المقابلة للحديقة فكانت تقع خيمتك يا ليدي وستولم، ثم خيمة الأنسة بيرس وبينهما سور حديقة الاستراحة، ثم خيمة السيد كوب صديق أسرة بونتون.

أومأت الليدي وستولم برأسها موافقة، فقال بوارو: حسناً يا سيدتي، أرجو أن تستمري في الحديث.

- في نحو الرابعة إلّا ربعاً خرجت إلى خيمة الأنسة بيرس لأسألها إن كانت تريد أن تتمشى معي قليلاً، وكانت جالسة أمام باب خيمتها تقرأ. واتفقنا على أن نتمشى قليلاً بعد نصف ساعة، أي عندما تخف حرارة الشمس بعض الشيء. وعدت إلى خيمتي لأقرأ، وبعد نصف ساعة صحبت الأنسة بيرس إلى النزهة. وكان جميع من في المعسكر نائمين كما بدالي فيما عدا السيدة بونتون التي كانت جالسة في كرسيها أمام باب الكهف، وقد اقترحتُ على الأنسة بيرس أن تمضي وتسلأها إن كانت تريد

شيئاً قبل أن يغادر المكان.

فغمغم بوارو قائلاً: نعم، إن هذا يدل على مدى إيمانك بالواجب.

- شكراً، ولكن تصور ماذا كان جزاؤنا؟ فقد هتفت بها ونحن نمر تحت الجرف أسألها إن كانت تريد شيئاً قبل أن نمضي، فإذا بها تنظر إلينا كأننا حشرات ولا ترد علينا بأكثر من غمغمة.

قالت الأنسة بيرس بوجه مضطرم: شيء مخجل!

وقالت الليدي وستولم: أعترف أنني قلت للآنسة بيرس عندئذٍ أن السيدة بونتون ربما كانت ثملة، لأن موقفها منا كان غريباً جداً.

فقال لها بوارو: هل كان موقفها غريباً طيلة ذلك اليوم؟ في وقت الغداء مثلاً؟

ففكرت الليدي وستولم برهة ثم قالت: لا، لا أعتقد، بل كانت تصرفاتها عندئذٍ طبيعية جداً.

لكن الآنسة بيرس قالت: لا تنسي أنها كانت غليظة في تصرفها مع ذلك العامل العربي.

- متى؟

- قبل أن نتمشى بوقت غير قصير.

- آه، تذكرت، فقد كانت نائرة ووجهت إليه ألفاظاً قاسية، ولكن الرجل لم يفهم شيئاً طبعاً. على أن الإنسان قد تتوتر أعصابه من أقل شيء عندما يكون مجهداً بسبب السفر.

- من هو ذلك العامل؟

- أحد عمال مكتب السياحة. وأعتقد أنها طلبت منه أن يأتيها بشيء معين فجاءها بشيء آخر. والواقع أنها كانت شديدة القسوة معه حتى لقد تراجع عنها في خوف وانطلق بعيداً، وقد لوحث وراءه بعضاها وهتفت به.

- ماذا قالت له؟

- لا أعرف، لأننا كنا بعيدتين عنها في ذلك الوقت. أليس كذلك يا آنسة بيرس؟

ردت الأنسة بيرس وقد اضطرم وجهها ثانية: نعم، نعم. ويبدو أنها أرسلته ليأتي لها بشيء من خيمة ابنتها جنيفرا فلم ينجح، أو لعلها رآته خارجاً من خيمة جنيفرا دون سبب واضح.

فقال بوارو: ما شكل هذا العامل؟

- إنه رجل طويل يرتدي عقلاً وسترة وبنطلوناً لونهما كاكبي، وكان بنطلونه ممزقاً وحزام الساق غير محكم على ساقه.

- هل يمكنك أن تتعرفي عليه من بين عمال المكتب السياحي؟

- لا أظن، لأننا لم نر وجهه. كما أن هؤلاء الناس يشبهون بعضهم البعض.

بعد برهة قال بوارو: حسناً، يمكننا أن نتعرف على هذا العامل لنعرف منه لماذا غضبت منه السيدة بونتون. والآن،

استمري في الحديث يا ليدي وستولم.

قالت الليدي وستولم: بعد أن سرنا قليلاً التقينا بالدكتور جيران يعود مترنحاً شاحب الوجه بأدي المرض. كان واضحاً عليه أنه محموم بالمalaria، وقد عرضت عليه أن أذهب معه وأحضر له بعض الكينين لكنه رفض قائلاً إن لديه حاجته من الكينين في الخيمة. واستأنفنا المسير حتى وصلنا إلى صخرة ظليلة، فجلسنا تحتها نستريح.

- وهل كنتما، في تلك البقعة، بعيدتين عن مرمى البصر من المعسكر؟

- لا، كنا جالستين في مواجهته.

- هل كان في مقدورك أن تري أحداً من أفراد أسرة بونتون؟

- نعم، رأينا الابن الأكبر وزوجته وهما في طريق الرجوع إلى المعسكر.

- هل كانا سوية؟

- لا، فقد مر السيد بونتون أولاً، وكان يبدو كالمريض بضربة شمس لأنه كان يسير في حالة ذهول.

- وماذا عمل حين عاد إلى المعسكر؟

- ذهب فوراً إلى أمه، لكنه لم يمكث معها غير وقت قصير.

- ما هي المدة التي مكثها على وجه التحديد؟

- دقيقة أو دقيقتين. ثم ذهب إلى كهفه، وبعد ذلك هبط إلى حديقة الاستراحة.

- وماذا عن زوجته؟

- إنها شابة لطيفة.

- هل راقبتها وهي عائدة إلى المعسكر؟

- نعم، فقد ذهبت إلى حماتها وتحدثت معها قليلاً، ثم دخلت كهفها واستحضرت كرسيّاً وجلست بجوار حماتها تتحدث معها مدة، نحو عشر دقائق.

- وبعد ذلك؟

- أعادت الكرسي إلى الكهف وهبطت إلى حديقة الاستراحة حيث جلس زوجها.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- وصل ذلك الأمريكي صديق الأسرة... أظن اسمه كوب، وأخبرنا أنه شاهد مكاناً أثرياً جميلاً، فذهبا معه وشاهدنا البقعة الأثرية ثم عدنا إلى المعسكر، وكانت الساعة قد بلغت السادسة إلا ثلاثاً، وكانت البرودة قد بدأت تشيع في الجو.

- هل كانت السيدة بونتون في مكانها كما تركتماها؟

- نعم.

- هل تحدث أحد منكم إليها؟

قالت الليدي وستولم: لا، وإذا شئت الحقيقة فإنني لم أنظر

ناحيتهما بعد أن لاحظت وجودها من بعيد.

- وماذا عملت بعد ذلك؟

- دخلت خيمتي وغيّرت ملابسِي، وعدت إلى حديقة الاستراحة حيث شربت الشاي مع الآنسة بيرس. وأخبرنا المرشد العربي أن العشاء سيكون حاضراً بعد نصف ساعة، وكان مساعده يحضرون الطاولة.

قال بوارو: هل كان هناك أحد في حديقة الاستراحة؟

- أوه، نعم. السيد والسيدة لينوكس بونتون، كانا جالسين في طرف الطاولة، وكارول كانت هناك أيضاً.

- والسيد كوب؟

- اشترك معنا في شرب الشاي.

- وبعد ذلك؟

- أذكر أن ريموند بونتون وصل من نزهته، ثم أقبل على مائدة العشاء وأقبلت بعده أخته الصغرى ذات الشعر الذهبي. أما الآنسة كنج فكانت آخر من حضر إلى الطاولة. ثم أرسل المرشد أحد العمال ليخبر السيدة بونتون أن العشاء جاهز، لكن العامل عاد مسرعاً في حالة اضطراب، وسمعنا أن السيدة بونتون أصيبت بمرض، وعرضت الآنسة كنج خدماتها لكنها قالت بعد أن ذهبت إلى المريضة أنها ميتة تماماً.

- وكيف تلقى أفراد الأسرة الخبر؟

- الواقع أن من العسير أن يحزر المرء حقيقة مشاعرهم.

لقد تلقوا الخبر في هدوء تام وذهبوا كلهم مع الأنسة كنج، ولكنني بقيت مع الأنسة بيرس حتى لا نبدو متطفلين. وأخيراً عاد المرشد مع الأنسة كنج، واقترحت أن نتناول نحن العشاء على أن يتناوله أفراد الأسرة لاحقاً، ووافق الباقون على هذا الاقتراح. وبعد أن فرغنا من الأكل أويت إلى خيمتي، وكذلك فعلت الأنسة بيرس والأنسة كنج، أما السيد كوب فقد جلس في حديقة الاستراحة ليكون تحت أمر الأسرة إذا احتاجوا إليه. هذا كل ما أعرفه يا سيد بوارو.

- عندما أقلت الأنسة كنج بالنبا إلى أفراد الأسرة، هل ذهبوا معها كلهم؟

- نعم... لا... أذكر الآن أن الابنة الصغرى ذات الشعر الذهبي بقيت في حديقة الاستراحة، أليس كذلك يا آنسة بيرس؟

- بلى، تماماً.

- وماذا عملت الابنة الصغرى يا ليدي وستولم؟

- ماذا عملت؟ إنها لم تعمل شيئاً.

- أعني ألم تكن تقرأ أو تشغل نفسها بشيء ما؟

ردت الأنسة بيرس بغتة: كانت تدير إبهامها دون أن تتحرك من مكانها.

- سؤال واحد أخير يا ليدي وستولم. أرجو أن تستديري بوجهك عن الأنسة بيرس. آه، حسناً، والآن هل يمكن أن تصفي لي ماذا ترتدي الأنسة بيرس اليوم؟

فهزت الليدي وستولم كتفيها وقالت: هل تريد أن تختبر قوة ملاحظتي؟ حسناً، إن الأنسة بيرس ترتدي ثوباً من القطن مخططاً باللونين الأبيض والبنّي مع حزام أحمر مطرز باللونين الأزرق والبيج، وترتدي جوارب حريرية لونها بيج وحذاء بنياً من الجلد. وهناك رتق في الجورب الأيسر. وتضع حول عنقها عقداً من حبات لونها أزرق، كما تتزين بسوار عليه نقش فراشة، وفي إصبع يدها اليمنى الأوسط خاتم له فص من الماس المقلد، وعلى رأسها قبعة من الفلين ذات لونين أزرق وبنّي.

وبعد برهة صمت قالت: هل هناك شيء يا سيد بوارو؟

فبسط بوارو يديه وقال: لا أعرف كيف أعرب لك عن إعجابي بقوة ملاحظتك يا ليدي وستولم.

- إن التفاصيل الدقيقة قلما تفوتني.

ونهدت لتغادر الغرفة، وتبعها الأنسة بيرس وهي تنظر في أسف إلى الرتق في جوربها الأيسر. وقبل أن تنصرف الأنسة بيرس تماماً ناداها بوارو وقال: لحظة واحدة من فضلك يا آنسة بيرس.

فتوقفت بغيته والتفت إليه قائلة وقد بدا الخوف على وجهها: نعم يا سيد بوارو؟

وانحنى بوارو نحوها وأشار إلى طاولة في الركن وقال: أترين هذه الباقة من الزهور البرية على هذه الطاولة؟

فحملت الأنسة بيرس إلى الزهور وقالت: نعم.

- وهل لاحظت، عند دخولك الغرفة، أنني عطست مرة

أو مرتين؟

- نعم.

- وهل لاحظت أنني كنت أشم هذه الزهور؟

- لا، لم ألاحظ هذا.

- ولكنك تتذكرين أنني قد عطست؟

- أوه، نعم، أتذكر هذا.

فابتسم بوارو وقال: حسناً، لا بأس. إن هذه الزهور من النوع الذي يثير شيئاً من الحساسية عند بعض الناس.

- الحساسية! أوه، إن لي ابنة عم مريضة بهذه الحساسية، ولا تكاد تأكل شيئاً أو تشم شيئاً حتى تصاب بها.

- شكراً، شكراً يا آنسة بيرس.

واستطاع بوارو أن يتخلص من الأنسة بيرس ومن حديثها عن حساسية ابنة عمها. وبعد انصرافها رفع حاجبيه وغمغم قائلاً كأنما يحدث نفسه: ولكنني لم أعطس. نعم... لم أعطس منذ أسبوعين على الأقل!

\* \* \*

حين دخل لينوكس غرفة السيد بوارو كان الكولونيل كاربري قد تركها لبعض شأنه، ولو أن الدكتور جيرار كان حاضراً بها لدهش وهو يرى لينوكس يدخل بخطى ثابتة مرفوع الرأس رابط الجأش، أبعد ما يكون عن ذلك الرجل المتهالك الضعيف الخائف من سيطرة زوجة أبيه.

نهض بوارو لاستقباله قائلاً: طاب صباحك يا سيد بونتون، أنا شاكر لك تفضلك بالحضور.

فأوماً لينوكس وقال وهو يتخذ مجلسه: لقد نصحني الكولونيل كاربري بالحضور قائلاً إنه من الأفضل لنا كلنا أن نتجاوب معك حتى لا يبقى أي شك في طبيعة وفاة أمنا.

فقال بوارو في عرض الحديث: لا شك أن الوفاة كانت صدمة شديدة لك.

- نعم، طبعاً. أعني: لا، ليس إلى حد كبير، فقد كنا نتوقع وفاتها في أي وقت بسبب مرضها بالقلب.

- هل كان من الحكمة إذن وهذه حالتها أن تسمحوا لها بالقيام بهذه الرحلة الشاقة؟

فرغ الشاب رأسه وقال بوقار: إن أمي يا سيد بوارو اعتادت أن تنفذ رغباتها، فهي إذا قررت شيئاً فلا بد أن تنفذه دون أي اهتمام بمعارضتنا.

- نعم، إن للسيدات العجائز تصرفات تثير الأعصاب.

فرد الشاب بضيق: ماجدوى التحدث في هذه الشؤون الآن؟ بل ما هو الغرض من كل هذه الإجراءات التي تتخذونها؟

- لعلك لا تعرف يا سيد لينوكس أن مثل هذه الإجراءات ضرورية في حالات الوفاة الفجائية.

فقال لينوكس بحدة: ماذا تعني بعبارة «حالات الوفاة الفجائية»؟

فهز بوارو كتفيه وقال: في هذه الحالات لا بد للإنسان أن يتساءل: هل كانت الوفاة طبيعية أو... أو انتحاراً مثلاً.

- انتحاراً؟! -

- أنت طبعاً أكثر الناس دراية بالظروف التي أحاطت بالوفاة، ولكن الكولونيل كاربري في حيرة من أمره، فهو لا يدري هل يصدر أمراً بإجراء التحقيق وتشريح الجثة أم؟ حسناً، فقد طلب مني أن أقوم ببعض التحريات قبل أن يتخذ قراره الأخير بهذا الشأن.

- في هذه الحالة أنا مضطر لإرسال برقية إلى القنصل الأمريكي في القدس.

- هذا من حقلك طبعاً، ويمكنك أيضاً أن ترفض الإجابة على أية أسئلة أوجهها إليك.

- لا داعي لهذا كله، أنا مستعد للإجابة على أي سؤال،  
وإن كنت أرى أن الأمر أبسط من أن تثار حوله هذه الضجة.

فأوماً برأسه وقال متلطفاً: إنها مسألة إجراءات عادية، وكل  
ما أطلبه منك أن تخبرني بما حدث ظهر يوم الوفاة، فقد علمت  
أنك تركت المعسكر للقيام بنزهة في ذلك الحين.

- لقد غادرنا المعسكر كلنا ما عدا أمي وأختي الصغرى.

- هل كانت والدتك جالسة أمام كهفها عندئذٍ؟

- نعم، ككل يوم بعد الظهر منذ وصلنا إلى البتراء.

- حسناً، متى بدأت النزهة؟

- بعد الساعة الثالثة.

- متى عدت منها؟

- لا أدري على وجه التحديد، ربما كانت الساعة عند  
عودتي الرابعة أو الخامسة.

- أي بعد ساعة أو ساعتين من بدء النزهة.

- تقريباً.

- هل مررت بأحد أثناء عودتك؟

- لا أذكر.

- ألم تمر بسيدتين كانتا جالستين في طريق عودتك؟

- ربما... ربما.

- كأنك كنت مستغرقاً في تفكير شديد.

- هذا ما حدث.

فصمت بوارو قبل أن يستأنف أسئلته قائلاً: هل تحدثت مع والدتك، أي مع زوجة أبيك، عند عودتك؟

- نعم، نعم، هذا ما فعلته.

- ألم تشكُّ لك من إحساسها بتعب أو مرض مفاجيء؟

فكر لينوكس برهة قبل أن يجب قائلاً: أبداً، بل كانت في حالة طيبة.

- هل يمكن أن أسأل عما دار بينكما بالتفصيل؟

ومرة أخرى صمت لينوكس قبل أن يجيب: قالت إنني بكرت بالعودة فقلت إن الجو حار، ثم سألتني عن الوقت قائلة إن ساعة يدها قد توقفت، فأخذتها منها وضبطتها ثم أعدتها ووضعتها في معصمها.

فقاطعه بوارو قائلاً برفق: كم كان الوقت عندئذٍ؟

- نعم؟

- كم كان الوقت حين ضبطت الساعة لوالدتك؟

- كان... كان الخامسة إلا خمس وعشرين دقيقة.

فقال بوارو برفق: إذن فقد كنت تعرف متى عدت للمخيم على وجه التحديد.

فاضطرم وجه لينوكس وقال: ما أغبانني! أنا آسف يا سيد بوارو، لقد خانتني ذاكرتي، ولا عجب في هذا بعد كل هذه المتاعب.

- أجل، أجل. إن لك العذر طبعاً. حسناً، وماذا حدث بعد ذلك؟

- سألت أمي إن كانت تريد شيئاً: شراباً أو شايًا أو قهوة، فقالت: لا. ثم ذهبت إلى حديقة الاستراحة، ولم يكن بها أحد من العمال العرب. فشربت زجاجة ماء بالصودا ثم جلست أقرأ بعض أعداد قديمة من مجلة سترداي إيفننج بوست، ويبدو أنني قد غفوت قليلاً.

- وهل لحقتك زوجتك إلى حديقة الاستراحة؟

- نعم، جاءت بعد مدة غير طويلة.

- ولم تر السيدة بونتون على قيد الحياة بعد ذلك؟

- نعم، لم أرها إلا... ميتة.

- ولم تكن مهتاجة أو مضطربة حين كلمتها؟

- أبداً، كانت تماماً كعهدنا بها.

- هل هذا كل ما لديك من أقوال؟

- نعم.

- حسناً، أرجو أن تتكرم بإرسال زوجتك.

وبعد انصراف لينوكس، كتب بوارو في مفكرة أمامه ما يلي: لينوكس بونتون، الساعة ٣٥: ٤ بعد الظهر.

\* \* \*

نظر بوارو باهتمام إلى نادين وهي تدخل الغرفة بقامتها الطويلة ورأسها المرفوع في شموخ واعتدادها بالنفس ، ثم نهض ليستقبلها ويحييها بصوت رقيق قائلاً: سيده لينوكس بونتون؟ أنا هيركيول بوارو ، في خدمتك.

وجلست نادين ، وركزت عينيها على وجه بوارو الذي تابع قائلاً: أرجو أن تغفري لي موقفي هذا في ساعات أحزانكم.

فصمتت برهة قبل أن تتنهد قائلة: أعتقد أنه من الأفضل أن أكون صريحة معك يا سيد بوارو.

- أتفق معك في هذا يا سيدتي.

- إذن أرجو أن تعلم أننا لا نشعر بأي حزن لوفاة حماتي ، أو هذا شعوري أنا على الأقل.

- شكراً لك على هذه الصراحة يا سيده لينوكس.

- ومع ذلك فأنا أشعر بتأنيب الضمير.

- عجباً!

- لأنني كنت السبب المباشر في موتها.

- هل تسمحين يا سيدتي وتفسرين حديثك هذا؟

- نعم، هذا ما أريد أن أفعله. لقد خطر لي في أول الأمر أن أحتفظ لنفسي بما حدث، ولكن بعد هذه التطورات رأيت أن أذكر الحقيقة. وأعتقد يا سيد بوارو أنك جدير بأن يفضي إليك الإنسان بأسراره الخاصة.

- شكراً يا سيدة لينوكس.

- حسناً. يمكنني أن أخبرك أن حياتي الزوجية لم تكن سعيدة، ولا ذنب لزوجي في هذا لأن زوجة أبيه كانت مسيطرة عليه تماماً. وقد خامرني الشعور منذ مدة بأني لم أعد أطيق الاستمرار في هذه الحياة.

وصمتت برهة قبل أن تستطرد قائلة: وفي يوم وفاة السيدة بونتون، أو على الأصح: بعد ظهر ذلك اليوم، اتخذت قراراً نهائياً ورأيت أن أبدأ بتنفيذه فوراً، ومن ثم عدت للمخيم من نزهتي وانتهزت فرصة وجود السيدة بونتون بمفردها أمام كهفها وأخبرتها بهذا القرار.

- حسناً يا سيدتي، هل يمكن معرفة هذا القرار؟

- قررت أن أنفصل عن زوجي.

- أهكذا؟

- نعم، وكان السيد كوب، صديق الأسرة، يلح عليّ دائماً أن أفعل هذا لأتزوج، وقد وافقت على رغبته في ذلك اليوم.

- وهل دهشت السيدة بونتون عندئذ؟

- بل صدمت. لقد دهشت وغضبت في وقت واحد، بل

لقد تمادت في غضبها بحيث لم تستطع قول أي شيء في أول الأمر، ولم أشأ المجادلة فنهضت وانصرفت عنها.

وصمتت برهة ثم أردفت قائلة: ولم أرها بعد ذلك حية.

- وأنت تظنين أن وفاتها ناتجة من هذه الصدمة؟

- بل يبدو لي أن هذا هو المؤكد، فقد أجهدت نفسها في الرحلة أكثر مما ينبغي، وقد أجهز عليها حديثي والصدمة التي تلت هذا الحديث. وإن إحساسي بالذنب يزداد لأنني أعرف الكثير عن الشؤون الطيبة، وكان ينبغي أن أدرك سلفاً نتائج مثل هذه الصدمة عليها.

- وماذا عملت بالتحديد بعد انصرافك عنها؟

- أعدت الكرسي إلى كهفي وهبطت إلى حديقة الاستراحة حيث كان زوجي جالساً.

- هل أخبرته بذلك قبل حديثك مع السيدة بونتون؟

- أخبرته في حديقة الاستراحة.

- وكيف تلقى هذا القرار؟

- اضطرب كثيراً.

- ألم يطلب منك أن تعيدي النظر في قرارك هذا؟

- الواقع أنه لم يتحدث كثيراً لأنه... لأنه كان يتوقع أن يحدث هذا عاجلاً أو آجلاً.

- عذراً في توجيه هذا السؤال إليك: هل الرجل الآخر هو

السيد جيفرسون كوب؟

- نعم.

- هل لديك محقن يا سيدة لينوكس؟

وبعد برهة طويلة قالت في هدوء تام: نعم، ولا.

فلما رفع حاجبيه في دهشة فسرت الأمر بقولها: لدي محقن قديم في حقيبة الأدوية بين أمتعة السفر، وهو في الفندق بالقدس.

- آه، فهمت.

وبعد برهة صمت، قالت نادين وهي ترتعد بقلق: لماذا توجه إليّ هذا السؤال يا سيد بوارو؟

فلم يجب عن سؤالها وإنما وجه إليها سؤالاً آخر: أعتقد أن السيدة بونتون كانت تتناول عقاراً يحتوي على أحد مستحضرات الديجيتال؟

- نعم.

- لأنها كانت مريضة بالقلب؟

- نعم.

- والديجيتال من العقاقير التي تحتوي السموم؟

- أعتقد هذا، وإن كنت لا أعرف الشيء الكثير عنه.

- إذا كانت السيدة بونتون قد تناولت جرعة أكبر مما ينبغي من هذا الدواء...

فقاطعته بسرعة قائلة: إنها لم تفعل لأنها كانت دقيقة جداً في هذه الناحية، وكذلك كنت أنا أضع النقاط بالعدد المطلوب.

- ربما كانت نسبة عقار الديجيتالا أكبر من اللازم في هذا الدواء، أي ربما أخطأ الصيدلي في تحضيره.

- أعتقد أن هذا غير محتمل.

- حسناً، سنتأكد من هذا بتحليل الدواء.

- هذا أيضاً غير ممكن لأن زجاجة الدواء انكسرت.

فرجع بوارو حاجبيه باهتمام وقال: أحقاً؟ وماذا كسرهما؟

- لا أدري بالتحديد. إنه أحد العمال كما أظن، فقد كان الضوء خافتاً عند نقل أمتعة السيدة بونتون إلى الكهف كما كان الجميع في عجلة، وقد اصطدم أحد العمال بمنضدة.

- إن هذا شيء يشير الاهتمام حقاً.

تململت نادين بكرسيها وقالت بلهجة تحد: هل تظن أن السيدة بونتون لم تمت من صدمة حديثي معها، وإنما السبب جرعة زائدة من العقار؟ أنا لا أرى هذا محتملاً.

- حتى لو قلت لك إن الدكتور جيرار الذي كان مقيماً في المخيم قد وجد كمية من عقار الديجيتوكسين ناقصة من زجاجة في حقيبة أدويته؟

تسمرت نادين في مكانها وقد امتقع وجهه بشدة، فقال بوارو: حسناً يا سيدتي، ما رأيك في هذا؟

مرت بضع لحظات قبل أن ترد قائلة بصوت مرتجف: أنت تعرف يا سيد بوارو أنني لم أقتل حماتي، فقد كانت على قيد الحياة حين انصرفت عنها، ويمكن لعدد كبير من الناس أن

يشهدوا بهذه الحقيقة. وما دمت بريئة من هذه التهمة فيمكنني أن أتقدم بالتماس إليك: لماذا تشق على نفسك بالتدخل في هذه المسألة؟ إذا أقسمت لك في أن العدالة، والعدالة وحدها، قد أخذت مجراها... فهل تنفض يديك من المسألة كلها؟ لقد كان الشقاء يظلل عدداً من الأبرياء المسالمين، وهم الآن يعيشون في أمن وسلام وأمل بالسعادة، فلماذا تحاول أن تحطم هذا كله؟

ركز بوارو نظراته عليها ثم قال: صارحيني يا سيدتي. ماذا تريد مني أن أعمل؟

- إنني أطلب منك أن توافق على ما أقول، وهو أن السيدة بونتون قد ماتت ميتة طبيعية.

- أرجو أن تحددى الموقف. أنت تعتقدين أن حماتك ماتت مقتولة لكنك تريدين مني أن أتجاوز عن هذا.

- إنني أطلب منك الرحمة.

- الرحمة لشخص لا يعرف معنى الرحمة.

- أنت لا تفهم الحقيقة. الأمر ليس هكذا.

- هل ارتكبت هذه الجريمة يا سيدتي حتى تعرفي الحقيقة كلها؟

هزت رأسها وقالت بهدوء: لا، لقد كانت حية حين تركتها.

- إذن فالأمر أنك إما تعلمين عن يقين أو ترتابين.

- لقد سمعت، يا سيد بوارو، أنك قد قبلت حلاً غير رسمي في موقف مماثل لهذا في جريمة في قطار الشرق.

نظر إليها بدهشة وقال: من قال لك هذا؟

- سمعت... فهل ما سمعته صحيح؟

- لقد كانت الظروف مختلفة.

- لا، لقد كان الرجل القتل شريراً كما كانت هي.

- إن أخلاق المجني عليه لا دخل لها في أمر كهذا، وإن الشخص الذي يعطي لنفسه حق الاقتصاص من الغير بلا سند قانوني يمكن أن يتمادى ويصبح خطراً على المجتمع، ولهذا يجب التخلص منه أو الحد من خطره.

- ما أشد صلابتك!

- سيدتي، إنني عنيد في بعض الظروف، ولا يمكن أن أتسامح مع شخص يرتكب جريمة قتل. هذه هي كلمة هيركيول بوارو الأخيرة.

نهضت قائلة: إذن اذهب واجلب الشقاء على رؤوس أشخاص أبرياء معذيين. أما أنا فلم يعد لدي ما أقول.

- لكن ماذا حدث بعد أن انصرفت عن حماتك وذهبت إلى زوجك في حديقة الاستراحة؟

- ومن أين لي أن أعرف؟

- أنت تعرفين... أو ترتابين على الأقل.

فقالت وهي تنصرف من الغرفة: أنا لا أعرف شيئاً يا سيد بوارو.

\* \* \*

بعد انصراف نادين كتب بوارو في مفكرته هذه العبارة:  
نادين بونتون، الساعة ٤٠ : ٤ بعد الظهر.

ثم استدعى أحد رجال الشرطة وطلب منه استدعاء الأنسة كارول بونتون. فلما أقبلت نظر إليها بوارو باهتمام، ولاحظ اضطراب أعصابها في ارتعاد أصابع يديها وشحوب وجهها.  
قال لها محيياً: تفضلي بالجلوس يا آنسة كارول.

فلما جلست في خضوع قال لها: والآن أرجو منك أن تخبريني بكل ما تعرفين عما حدث بعد ظهر اليوم الذي حدثت فيه الوفاة.

وأجابت بسرعة جعلت بوارو يشك في أنها تحفظ الإجابة عن ظهر قلب: لقد ذهبنا إلى نزهة... ثم عدت إلى المخيم.

- لحظة واحدة من فضلك. هل ذهبت معاً، كلكم؟

- لا، لقد كنت معظم الوقت مع أخي ريموند أو مع الأنسة كنج، ثم انفردت بنفسي.

- ثم عدت إلى المخيم. متى على وجه التقريب؟

- أعتقد أن الساعة كانت الخامسة وعشر دقائق.
- ودون بوارو في مفكرته هذه العبارة: كارول بونتون،  
الساعة ١٠ : ٥ بعد الظهر تقريباً.
- ثم قال لها: وبعد ذلك؟
- كانت أُمي جالسة حيث تركناها، فذهبت إليها وكلمتها  
ثم مضيت إلى خيمتي.
- هل تذكرين الحديث الذي دار بينكما؟
- قلت لها فقط أن الجو حار وأني سأستريح قليلاً في  
خيمتي، وقررت هي أنها ستبقى في مكانها.
- أهذا هو كل شيء؟ ألم يكن في مظهرها شيء خاص  
لفت نظرك؟
- فكرت برهة ثم ردت: أتذكر الآن فقط أن وجهها كان  
شديد الاحمرار!
- ربما كان من صدمة تلقتها؟
- صدمة؟
- نعم، أو لعلها كانت غاضبة بسبب تصرف أحد العمال  
في المخيم؟
- ربما.
- كأنما لم تخبرك بشيء؟
- مطلقاً.
- وماذا عملت بعد ذلك؟

- عدت إلى خيمتي ووقدت نحو نصف ساعة ، ثم توجهت إلى حديقة الاستراحة حيث كان أخي وزوجته جالسين يقرآن.

- وماذا فعلت أنت؟

- فرغت من خياطة قطعة ملابس ثم أخذت مجلة.

- هل تحدثت مع أمك مرة أخرى عند توجهك إلى حديقة الاستراحة؟

- لا ، لقد توجهت إلى الحديقة فوراً. بل أعتقد أنني لم أنظر إلى حيث كانت أمي جالسة.

- وبعد ذلك؟

- بقيت في حديقة الاستراحة حتى... نقلت إلينا الأنسة كنج نبأ وفاتها.

- وماذا كان شعورك عندئذٍ يا أنسة كارول؟

- حملقت في وجهه برهة ثم قالت: كانت صدمة شديدة.

- أحقاً؟

- ماذا تعني يا سيد بوارو؟

- هل كانت صدمة شديدة حقاً؟ ألا تذكرين حديثاً دار

بينك وبين ريموند في ليلة ما بمدينة القدس؟

وأصابت كلماته الصميم ، فإذا وجهها يمتقع بشدة ، وإذا

هي تقول هامسة: هل تعرف هذا؟

- نعم.

- ولكن... كيف؟

- سمعت جزءاً من هذا الحديث وأنا أعلق نافذة غرفتي.  
دفنت كارول وجهها بين يديها وبكت، فقال بوارو: لقد  
كنت تتأمرين مع أخيك ريموند على قتل زوجة أبيكما.  
وبصوت تقطعه شهقات البكاء قالت: كنا مجنونين...  
مجنونين في تلك الليلة.  
- ربما.

- إن من المستحيل عليك أن تتصور الحالة النفسية التي  
كنا عليها. لقد كان عذابنا محتملاً في أمريكا، أما بعد أن رأينا  
الدنيا وجمالها فقد تضاعف شعورنا بالسجن والحرمان، وهكذا  
انتابنا شعور باليأس، ولا سيما حالة جيني.

- جيني؟

- شقيقتي الصغرى... جنيفرا، أنت لم ترها. لقد بدأت  
قواها العقلية تختل من فرط الضغط الواقع عليها. وكنت أخشى  
مع ريموند أن ينتهي بها الأمر إلى الجنون التام، وقد وافقتنا نادين  
على هذا، ونادين تعرف في مثل هذه الأمور الصحية أكثر منا.  
- نعم، نعم طبعاً.

- وفي تلك الليلة في القدس كانت حالتنا النفسية قد بلغت  
الذروة من السوء، مما جعلنا نظن أن التآمر على قتل زوجة أبنينا  
أمر ضروري وليس فيه ما يسيء إلى أحد. لقد آمنا عندئذٍ أنها  
مجنونة تماماً. أنا لا أعرف رأيك في أمر كهذا، ولكنني أعتقد أن  
قتل إنسان في بعض الأحيان يعتبر عملاً نبيلاً.

أوما بوارو برأسه وقال: هذا ما يبدو أحياناً.

- وهذا ما شعرت به أنا وريموند في تلك الليلة. ولكننا لم ننفذ أقوالنا، نعم، لم ننفذها بطبيعة الحال، فحين أشرقت شمس الصباح بدت لنا أقوالنا غريبة شاذة مضحكة، بل وشريرة أيضاً. أجل يا سيد بوارو، لقد ماتت أمنا ميتة طبيعية جداً بسبب مرض القلب، وليس لي أو لريموند أي يد في موتها.

قال بوارو بهدوء: هل تقسمين يا آنسة أمامي بأن موت والدتك لم يتسبب عن أي تصرف منك؟

رفعت كارول رأسها وقالت بصوت ثابت عميق: أقسم بالله أنني لم أسئ إليها يوماً.

فتراخى بوارو في مقعده وقال: هكذا الأمر إذن؟

وبغثة أردف قائلاً: ما هي الخطة التي فكرتما في اتخاذها لقتل السيدة بوتون؟

- لم تكن لدينا خطة، ولم نصل بتفكيرنا إلى هذا الحد.

فنهض بوارو وقال: هل تسمحين بإرسال أخيك يا آنسة؟

ونفضت بدورها قائلة: هل صدقتني يا سيد بوارو؟

- هل يبدو عليّ أنني لم أصدقك؟

- لا، ولكن...

ثم استدارت ومضت إلى الباب، وهناك توقفت ونظرت إلى بوارو ثم قالت: لقد أخبرتك الحقيقة كلها.

ولم يجب بوارو، فانصرفت هي من الغرفة ببطء.

\* \* \*

لاحظ بوارو الشبه الكبير بين ريموند وأخته كارول. وكان الشاب عند دخوله يبدو ثابت الجنان متمالك الأعصاب، وبعد أن جلس في مقعده حملق في وجه بوارو وقال: حسناً؟

فقال بوارو بهدوء: هل تحدثت أختك معك؟

- نعم، حين طلبت مني أن آتي إليك. ومن حقتك طبعاً أن ترتاب في أمرنا بعد أن سمعت حديثنا في تلك الليلة، لكنني أوكد لك أن هذا الحديث كان حلم ليلة صيف لا أكثر. لقد كنا نعاني من إرهاق عصبي عنيف، وكان الحديث عن قتل زوجة أبينا مجرد تخفيف عن حالتنا العصبية فقط.

- هذا محتمل جداً.

- وفي الصباح بدت لنا أقوالنا مضحكة، وأقسم لك يا سيد بوارو أنني لم أفكر في هذا الشأن بعد ذلك.

ولما لم يقل بوارو شيئاً تابع ريموند قائلاً: أوه! نعم. إن من السهل على أي إنسان أن يقول هذا، أن يقول أنه بريء وأنه لم يفكر في إيذاء أحد. وأنا لا أتوقع أن تصدقني بلا دليل يؤيد أقوالي، ولكن عليك أن تراعي هذه الحقائق. لقد تحدثت

مع أمي قبل السادسة بقليل وكانت على قيد الحياة عندئذٍ، ثم دخلت خيمتي واسترحت، ثم انضمت إلى الجميع في حديقة الاستراحة وبقيت فيها مع كارول أمام الجميع دون أن نتحرك من مكاننا حتى سمعنا نبأ وفاتها. إنني أؤكد لك يا سيد بوارو أن وفاتها كانت طبيعية ولا يمكن أن تكون غير هذا.

- هل تعرف يا سيد ريموند أن الأنسة سارة تؤكد أن زوجة أبيك ماتت قبل ساعة ونصف على الأقل من السادسة والنصف حين اكتشاف وفاتها، أي أن موتها كان في الخامسة مساءً على الأقل.

فحملك ريموند في وجهه مصعوقاً ثم قال: هل قالت سارة هذا؟

- نعم. فما رأيك؟

- ولكن... لكن هذا مستحيل.

- هذه هي شهادة الأنسة كنج. وها أنت الآن تأتي وتخبرني بأن زوجة أبيك كانت على قيد الحياة قبل أربعين دقيقة من اكتشاف وفاتها؟

- ولكنها كانت كذلك؟

- كن حريصاً في أقوالك يا سيد ريموند.

- لا شك أن سارة أخطأت التقدير، لا بد أن هناك عوامل أخرى أغفلتها، مثل انعكاس الحرارة على الصخور أو شيء من هذا القبيل. إنني أؤكد لك يا سيد بوارو أن أمي كانت على قيد الحياة قبل السادسة بقليل وأنني قد كلمتها.

ولما لم يقل بوارو شيئاً انحنى ريموند إلى الأمام وقال: أتشير يا سيد بوارو كل هذه الشكوك لأنك سمعت ليلة حديثاً مضحكاً دار بين أخ وأخته يعانيان من إرهاق عصبي؟

فهز بوارو رأسه وقال: أنت مخطئ في هذا يا ريموند. هناك شيء آخر أهم، هناك السم الذي أخذ من حقيبة أدوية الدكتور جيرار.

فحملق ريموند في وجهه وقال: سم؟! ثم نهض وأزاح الكرسي بعيداً عنه وأردف قائلاً: أهذا ما ترتاب فيه؟

- هل خطتك تختلف عن هذه؟

فقال ريموند بلا حرص: أوه، نعم. إن هذا يغير كل شيء... إنني لا أستطيع أن أركز تفكيري في شيء الآن.

- ماذا كانت خطتكما؟

- خطتنا؟ كانت...

وأمسك ريموند عن الحديث بغتة وقد التزم جانب الحذر ثم قال: أظن أنني لن أقول المزيد.

- حسناً، كما تشاء.

ثم راح يرقب الشاب وهو ينصرف من الغرفة. وأخيراً تناول المفكرة وراح يكتب فيها بخط دقيق أنيق هذه الكلمات: ريموند بونتون، الساعة ٥:٥٥ بعد الظهر.

ثم تناول ورقة كبيرة يدون فيها شيئاً، فلما فرغ تراجع في مقعده وراح يتأمل ما دونه. وكان كما يلي:

غادر آل بونتون والسيد كوب المخيم في الساعة ٥ : ٣ تقريباً.

غادر الدكتور جيرار والأنسة سارة كنج المخيم في الساعة ١٥ : ٣ تقريباً.

غادرت الليدي وستولم والأنسة بيرس المخيم الساعة ١٥ : ٤.

عاد الدكتور جيرار في الساعة ٣٠ : ٤ تقريباً.

عاد لينوكس في الساعة ٣٥ : ٤ تقريباً.

عادت نادين إلى المخيم وتحديث مع السيدة بونتون في الساعة ٥٠ : ٤.

عاد ريموند إلى المخيم في الساعة ٥٠ : ٥.

عادت سارة كنج إلى المخيم في الساعة ٠٠ : ٦.

اكتشاف الوفاة في الساعة ٣٠ : ٦.

\* \* \*

طوى بوارو هذا الجدول ثم أمر باستدعاء المرشد السياحي محمود، فأقبل هذا بجسمه المتين، فابتدره بوارو بقوله: ماذا كنت تفعل مع عمالك في الساعة الخامسة والنصف مساء يوم الوفاة؟

- الساعة الخامسة والنصف؟ لم يكن أحدنا يعمل شيئاً. لقد أعددنا الغداء في الثانية، ثم رفعنا بقاياها في الثالثة إلا ربعاً تقريباً، ونام جميع السائحين بعد ذلك أو على الأقل دخلوا خيامهم. وفي الساعة الخامسة خرجت إلى حديقة الاستراحة لأشرف على مطالبهم وأقدم الشاي لمن يريد منهم، ولكنني لم أجد أحداً. كانوا جميعاً قد خرجوا للنزهة في الجبل، فسررت بهذا وعدت إلى خيمتي لأستأنف النوم. وفي الساعة السادسة إلا ربعاً بدأت المتاعب. لقد عادت السيدة الإنجليزية وطلبت إعداد الماء الساخن لها لكي تصنع إبيريقاً من الشاي، هذا بينما كان العمال يجهزون المائدة للعشاء. وقد أثارَت ضجة كبيرة من مياه الشرب قائلة إن هذه المياه يجب أن تُغلى قبل تناولها وإنني يجب أن أشرف على هذا بنفسِي.

- لقد علمت أن السيدة بونتون كانت غاضبة قبل وفاتها على

أحد العمال، فهل تعرف من هو العامل الذي أثار غضبها؟  
- ومن أين لي أن أعرف؟ إن السيدة العجوز لم تشكُ  
العامل إلي.

- ألا يمكنك أن تتحرى وتعرف من هو؟

- لا يا سيدي، هذا مستحيل لأن العمال لن يعترفوا لي  
الآن بارتكاب أي خطأ. أتقول إن السيدة العجوز كانت غاضبة؟  
حسناً، من الطبيعي أن يحاول العامل المخطئ أن ينكر كل  
شيء.

\* \* \*

كانت سارة كنج جالسة على ربوة تقتطف بعض الأزهار البرية القريبة منها وهي مشغولة الذهن. وأقبل الدكتور جيارر وجلس بجوارها، فلما شعرت به قالت له بلهجة حادة: لماذا أثرت كل هذه المشكلات يا دكتور جيارر؟ فلولا أقوالك...

فقاطعها الدكتور جيارر قائلاً ببطء: هل كنت تفضلين أن ألتزم السكوت؟

- لقد كنت محموماً وحرارتك مرتفعة جداً، وهذا يعني أنك لم تكن في حالة تجعل تفكيرك واضحاً وصافياً. ومن المحتمل أن يكون المحقن موجوداً في مكانه دون أن تراه طيلة الوقت، ولعلك قد أخطأت في تقدير كمية الديجيتوكسين الذي كان لديك، أو لعل أحد العمال قد عبث به.

فقال جيارر في لهجة واقعية: لا داعي لهذا القلق. إن الأدلة ضعيفة وغير واقعية، وسوف ترين بنفسك كيف سينجو أصدقاؤك من آل بونتون من العقاب.

فهتفت سارة بعنف: أترى؟ إن أحداً لم ينج منها في النهاية! حتى وهي في قبرها لا تزال تمسك بهم! لقد كانت رهيبة

في حياتها ورهيبية في موتها، وإني لأشعر أنها الآن تستمتع بما يعانونه من أجلها.

وفجأة قالت بصوت مختلف اللهجة تماماً: ها هو ذا الرجل الأصلع مقبل نحونا.

فأجاب جيرار: إنه السيد بوارو، ولعله آت للبحث عنا. فلما وصل بوارو إليهما مسح جبينه وقال لاهتأً: يا لهذه البلاد الصخرية... مسكين حذائي!

فردت سارة بلا رحمة: يمكنك أن تستعير أدوات تنظيف الأحذية من الليدي وستولم.

فهز بوارو رأسه وقال: ولكن أدواتها لا تستطيع أن تزيل الخدوش!

- ربما... ولكن لماذا، بالله عليك، ترتدي حذاء ثميناً في منطقة صخرية كهذه؟

- إنني أحب أن أبدو دائماً في أحسن مظهر.

فسألته سارة بسخرية: حتى في المناطق الصحراوية؟!

قال جيرار: إن النساء لا يكن في أحسن مظهر بالمناطق الصحراوية، فرغم أن الأنسة كنج تبدو أنيقة ونظيفة دائماً، فإن الليدي وستولم لا تبدو كذلك بملابس الركوب الخشنة. يا لها من امرأة رهيبية المنظر! وتلك المسكينة الأنسة بيرس، إن ملابسها دائماً مسترخية كأوراق الكرب الذابلة. وحتى السيدة نادين بوتون (التي تتمتع بجمال باهر) لا تبدو أنيقة، إن ملابسها لا تلفت الأنظار إعجاباً.

ردت سارة في لهجة لا تخلو من التهكم: أعتقد أن السيد بوارو لم يصعد إلينا ليتحدث عن الملابس النسائية!

قال بوارو: صدقت، لقد جئتمكم لأستشير الدكتور جيرار، فإن لآرائه قيمتها الكبيرة في نظري. وكذلك آراؤك يا آنسة كنج. إنك شابة وعلى الإمام بأحدث نظريات علم النفس، وأنا أريد أن أعرف كل ما يمكن عن السيدة بونتون.

ردت سارة: ألم تعلم الآن كل شيء عنها؟

قال بوارو: هناك أشياء ما زلت أجهلها. فمثلاً: ما هو السبب الذي جعل السيدة بونتون تقوم بهذه الرحلة، مع علمها بأن رحلة كهذه قد تفتح في أذهان سجنائها آفاقاً جديدة وتجعلهم يفكرون جدياً في التمرد عليها؟

ابتسم الدكتور جيرار وقال: إن تفسير هذا الموقف بسيط جداً. إنه نابع من الملل... لقد ملت السيدة بونتون حياتها بعد أن نجحت تماماً في إخضاع أفراد أسرتها لإرادتها، ولهذا رأت أن تغزو (مثل الإسكندر) آفاقاً جديدة تمارس فيها نزعتها نحو السيطرة. ومن ثم فكرت في هذه الرحلة، وهي تعلم أن سجناءها سيحاولون التمرد عليها، وهذا سيتيح لها لونهاً من الصراع المثير من أجل إعادتهم إلى الأفقاص... تماماً كما تفعل مروضة الوحوش.

تنهد بوارو وعمق وقال: صحيح، هذه هي الحقيقة الكاملة، وكل شيء يتفق معها، ولقد دفعت الأم الثمن في النهاية.

فانحنت سارة إلى الإمام وردت: هل تعني أنها زادت قسوتها على ضحاياها حتى دفعت أحدهم إلى افتراسها؟

فأوماً بوارو برأسه.

ثم سألته: من هو؟ أو هي؟

ولم يجب بوارو، وإنما راح يركز نظراته على فتاة تسير  
بجوار الربوة. كانت تسير بخطوات رشيقة خفيفة وقد عكس  
شعرها الذهبي ضوء الشمس وبدأت على شفيتها ابتسامة حالمة.  
فتنفس بوارو بعمق وقال: ما أجملها، وما أجمل وجهها الحالم  
وخطواتها الرشيقة! هكذا يجب أن تمثل أوفيليا في المسرح!

قال جيرار: صحيح، صحيح. إنك على حق، إنه وجه  
يحلم به الإنسان، أليس كذلك؟ لقد حلمت به وأنا أعاني الحمى  
في خيمتي بالبتراء، ولقد فتحت عيني لأرى هذا الوجه الحالم  
والبسمة العذبة. ما أجمله من حلم! وعندما صحوت شعرت  
بالأسف.

ثم أردف وقد استرد هدوءه: إنها جنيفرا بونتون.

\* \* \*

بعد لحظة كانت الفتاة قد وصلت إليهم، فقام الدكتور جيرار بمهمة التعارف. ونظرت جنيفرا باهتمام إلى بوارو الذي قال لها برفق: هل تتكلمين بالسير معي قليلاً يا آنسة جنيفرا؟

فسارت معه بوداعة، فلما ابتعدا قالت له بغتة: أنت مفتش مباحث خاص، أليس كذلك يا سيد بوارو؟

- نعم، ومشهور جداً.

- أشهر مفتش مباحث في الدنيا... ولا شك إنك جئت إلى هنا لحمايتي.

- هل أنت في خطر يا آنسة؟

- نعم، فقد أخبرت الدكتور جيرار في مدينة القدس أنني لست أحد أفراد أسرة بونتون، أنا أميرة ملكية متخفية. وكان بارعاً إذ أخفى حقيقته عني، لكنه تبعني إلى مدينة الصخور الحمراء ليتولى حمايتي. إنهم يريدون قتلي، ولهذا يجب أن أتخذ جانب الحذر دائماً.

أوماً بوارو برفق وقال: أهكذا؟

- نعم، ولكن الدكتور جيران إنسان طيب القلب، إنه يحبني بكل جوارحه.

- يحبك؟

- نعم، وكان يذكر اسمي في نومه. لقد رأيته هناك، في خيمته، يتقلب ويذكر اسمي... وتسلت خارجه، وكنت أظن أنه استدعاني لأن أعدائي كثيرون وهم حولي في كل مكان، وبعضهم يتنكرون في ملابس غريبة الشكل!

- أين كنت يا آنسة جنيفرا بعد ظهر يوم الوفاة؟

- في خيمتي، وكان الجو حاراً داخلها، ولكنني لم أجرؤ على الخروج خوفاً من أن يقتلوني.

ثم ارتعدت وأردفت قائلة: لقد أطل واحد منهم برأسه إلى داخل خيمتي، وكان متنكراً في ملابس العرب. وتظاهرت بالنوم، وكان هذا الشيخ يريد أن يختطفني.

وسار الاثنان قليلاً بصمت، وأخيراً قال بوارو: إن أقاصيصك هذه بارعة جداً.

فضربت الأرض بقدمها وردت غاضبة: هذه ليست أقاصيص يا سيد بوارو، إنها حقائق.

ثم استدارت وانطلقت بعيداً عنه هابطة التل.

وبينما كان بوارو يشيعها بنظراته، سمع وراءه صوتاً يقول: ماذا قلت لها!

وكان المتحدث هو الدكتور جيران، وكانت سارة في

طريقها إليهما. وبعد أن سار الثلاثة برهة قال بوارو مجيباً: لقد أخبرتها أنها تصورت لنفسها أفاصيص جميلة.

- ويبدو أنها غضبت! إن غضبها هذا فآل حسن. إنه يدل على أنها لم تفقد عقلها تماماً، وأعدت أنني أستطيع علاجها والأخذ بيدها إلى الشفاء.

- آه! إنك ستتولى علاجها إذن.

- نعم، لقد تحدثت في هذا الشأن مع السيد لينوكس وزوجته، وستحضر جنيفرا إلى باريس وتدخل إحدى مدارس المصححات التي أشرف عليها، وبعد ذلك سنلحقها بمعهد للتمثيل.

- التمثيل؟

- نعم، إنها ستنجح في هذه المهنة نجاحاً عظيماً، لأنها في الواقع قد أخذت عن أمها حب السيطرة والطموح، والتمثيل على المسرح هو المنفذ الوحيد للتخفيف من هذا الشعور. إنها على المسرح تستطيع أن تتقمص أية شخصية تتمنى أن تكونها.

وبعد أن فرغ من حديثه انحنى واستأذن للانصراف، وعندئذ قالت سارة لبوارو بعد أن سارا معاً برهة: أنا لا أتفق معه في أنها أخذت عن أمها تلك الصفات الرهيبة، وذلك رغم أنني شعرت نحو تلك المرأة بالعطف يوماً.

- أحقاً، متى كان ذلك؟

- في القدس، في بهو الفندق، فقد شعرت فجأة أنها إنسانة جديرة بالعطف والإشفاق، وخيل إليّ أن من واجبي

أن أترفق بها وأجعلها تشعر بما في النفس البشرية من خير. فلما ذهبت إليها وتحدثت معها لمحت لليدي وستولم جالسة بالقرب منا، وخطر لي أنها تسمع حديثنا. وعندئذ انتابني الخجل والارتباك وشعرت أنني قد ارتكبت أكبر حماقة.

- هل تتذكرين الكلمات التي قالتها لك السيدة بونتون في ذلك الحين؟

- أعتقد هذا. كانت كلمات غريبة، وغرابتها هي التي جعلتني أذكرها. لقد قالت لي وهي تحدق فيما ورائي: "إنني لا أنسى أبداً، تذكري هذا، إنني لا أنسى قط شيئاً ولا تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً".

وارتعدت سارة وأردفت قائلة: كانت تقول هذه العبارة بلهجة كلها الشر، وإنني لأكاد أسمع صوتها الآن.

ثم نظرت إليه فجأة وسألته: سيد بوارو، هل وصلت في تحرياتك إلى شيء معين؟

- نعم.

- ماذا؟

- عرفت مثلاً أن ريموند كان يتكلم مع أخته كارول في تلك الليلة بالقدس.

- هل ... هل أخبرته؟

نظر إليها طويلاً ثم قال: هل يهملك الأمر يا آنسة كنج؟

- جداً، ولكنني أريد أن أعلم.

- لقد أخبرته فعلاً، ولكنه قال إن حديثه كان نابعاً من توتره العصبي وإنه نسي كل شيء في الصباح، والآن هل يمكن أن تخبريني يا آنسة كنج ماذا يخيفك في هذا الأمر؟

ساد السكوت برهة، ثم ردت: في عصر ذلك اليوم كنت معه... مع ريموند، في الجبل. وقد صارح كل منا الآخر بحبه، وقال لي إنه يجب أن يفعل شيئاً قبل أن تخونه شجاعته. وقد فكرت أنه يعني الرغبة في مصارحتها بحبه لي... ولكن... لنفرض أنه كان يعني...

ثم ساد السكوت فجأة.

\* \* \*

خرجت نادين من فندقها بمدينة عمان، وعندئذ التقت بالسيد كوب الذي كان واقفاً في انتظارها، وقد قال لها: هل تمشي قليلاً يا نادين؟

ولما وصلا إلى الربوة المكسوة بالأزهار قالت له فجأة: أنا آسفة يا سيد كوب، أريد أن أصارحك بأمر خطير.

- طبعاً، طبعاً يا عزيزتي. قللي ما تريدين دون أن تشقي على نفسك.

وبعد تردد وجيز قالت: أنت إنسان طيب القلب يا جيفرسون، وصبور، وقد عاملتك معاملة سيئة.

فقاطعها قائلاً: أرجوك يا نادين... لا داعي لأن تزعجي نفسك بشيء، أنا أعلم ماذا تريدين أن تقولي. لقد تغيرت الأحوال الآن وأشعر أن في مقدورك أن تستأنفي حياة سعيدة

مع زوجك. أليس كذلك؟

فنظرت إليه متشكرة ثم ردت: صحيح يا جيفرسون، لن أستطيع التخلي عن لينوكس. فهل تغفر لي؟

- لا شيء يستحق أن أعفّره لك، ولكن يكفي أن نستمر صديقين كما كنا، وما عليك إلا أن تنسي حديثنا في عصر ذلك اليوم.

فوضعت يدها على ذراعه في رفق ثم ردت: شكراً لك يا عزيزي جيفرسون. سأذهب الآن لأتحدث إلى زوجي.

\* \* \*

التقى بوارو أثناء عودته بالآنسة بيرس التي اندفعت تقول بحماس: لم أعرف إلا في هذا الصباح أنك السيد هيركيول بوارو المشهور، فقد قرأت الكثير عنك يا سيدي، ولشد ما تمنيت أن أقابلك لأخبرك بما شاهدت. إن الإنسان يجب ألا يغفل عن أي شيء ولو كان بسيطاً في مثل هذه الظروف، أقصد ظروف تحرياتك عن وفاة السيدة بونتون المسكينة. تصور أن ابنتها الصغرى تعتقد أنها أميرة من بيت مالك! يا للعجب! ماذا كنت أقول؟ نعم، لا بد أن السيدة بونتون قد قُتلت وإلا لما اهتمت بالأمر. لا شك في هذا.

فقاطعها قائلاً: حسناً، حسناً يا آنسة بيرس. ماذا تريدان أن تقولي لي؟

- إن ما رأيته ليس بالأمر الخطير، ولكن من واجبي أن أخبرك به. لقد صحوت في الصباح التالي ليوم الوفاة مبكرة أكثر من المعتاد، وانتهزت هذه الفرصة لأتمتع بشروق الشمس، وأنت تعرف أن الشروق في هذه المناطق...

- نعم، نعم، وماذا شاهدت؟

- فوجئت برؤية إحدى ابنتي آل بونتون تلقي بشيء إلى الجدول. وليس في هذا ما يشير الانتباه، ولكن هذا الشيء كان يلمع...

- أي الابنتين؟

- أعتقد أنها التي يدعونها كارول، وربما كانت الصغرى. لقد كان ظهرها إليّ والشمس في عيني، ولكن الصغرى شعرها ذهبي يميل إلى الاحمرار، بينما شعر كارول ذهبي يميل إلى الاصفرار. ولهذا أرجح أنها كارول.

- رأيته تلقي بشيء يلمع؟

- نعم، ولم أهتم للأمر، ولكن حين سرت على ضفة الجدول بعد ذلك شاهدت الأنسة كنج هناك، وشاهدت أيضاً بين المخلفات على الضفة صندوقاً معدنياً صغيراً أدركت أنه هو الذي ألقته الأنسة كارول إلى الجدول. إنه صندوق معدني من النوع الذي يحتفظ فيه بالمحقن الزجاجي، ورأيت أن أتناول الصندوق لأرى ما بداخله. وقد وجدت المحقن فيه سليماً غير مكسور، فتملكني العجب طبعاً. ولكن الأنسة كنج تحدثت ورائي (ولم أكن قد شعرت بها وهي آتية) وذكرت أن هذا المحقن يخصها وأنها جاءت تبحث عنه، ثم أخذته وانصرفت.

واستطردت الأنسة بيرس تقول: ولم أهتم كثيراً بالأمر، وإن كنت قد تساءلت في نفسي عن السبب الذي يجعل الأنسة كارول تقذف بمحقن الأنسة كنج إلى الجدول ليسقط على الضفة الأخرى بين النفايات. إن هذا السؤال هو الذي جعلني أخبرك بالأمر.

- شكراً جزيلاً يا آنسة بيرس ، فقد زودتني بالحلقة الأخيرة التي أستكمل بها سلسلة تحرياتي. لقد أصبح كل شيء الآن واضحاً كل الوضوح.

فهمتفت الآنسة بيرس في بهجة التلميذ السعيد: أحقاً؟ ما أسعدني بهذا!

وبعد أن صحبها إلى الفندق وقف برهة يدون في ورقة معه: إنني لا أنسى. تذكري هذا... إنني لا أنسى قط شيئاً و...

ثم أردف قائلاً لنفسه: نعم ، كل شيء أصبح واضحاً الآن.

\* \* \*

أتمّ بوارو استعداداته لمواجهة جميع الذين تدور حولهم شبهات ارتكاب الجريمة، وقد اتخذ من إحدى غرف الفندق ما أسماه مسرحاً للفصل الأخير. وفي جانب من هذا المسرح جعل أفراد أسرة بونتون يجلسون معاً: ريموند وكارول، ولينوكس ونادين، وجنيفرا... وفي الجانب الآخر جعل سارة والطبيب جيرار والسيد كوب يجلسون معاً. وأمامهم جميعاً جلس الكولونيل كاربري.

أما هو فقد وقف وقال لهم بعد أن اكتمل جمعهم: أيها السيدات والسادة، إن اجتماعنا هذا ليست له أية صفة رسمية، وكل ما في الأمر أن الكولونيل كاربري قد شرفني وطلب مني العمل على معرفة الحقيقة في وفاة سيدة بونتون.

وهنا قال لينوكس بحدة: ولماذا كل هذه الضجة والوفاة طبيعية؟

فقال الكولونيل كاربري: كان كل شيء يدل على أن الوفاة طبيعية فعلاً. الرحلة الشاقة وإجهاد السيدة بونتون ومرضاها بالقلب وكبر سنهما، ولكن الدكتور جيرار تطوع ببلاغ في صبيحة اليوم التالي عن وفاة السيدة بونتون قال فيه إن كمية من عقار

شديد المفعول قد أخذت من حقيبة أدويته، وإن محقناً قد أخذ في يوم الوفاة من حقيبته ثم أعيد إلى مكانه أثناء الليل أو في الصباح، كما لوحظ على معصم السيدة المتوفاة علامة ناشئة من وخز إبرة محقن طبي.

وخيم على الجميع صمت عميق بحيث لو سقط في الغرفة إبرة لكان لها رنين مسموع. والتقط بوارو حبل الحديث وقال: وأخبرني الكولونيل كاربري بشكوكه، ولكنني صارحته بأنني قد أعجز عن إقامة الدليل الكافي لإدانة الجاني أمام المحكمة، إلا أن هذا لا يمنع من إظهار الحقيقة كاملة بالنسبة لسبب هذه الوفاة. وذلك، ببساطة، عن طريق توجيه الأسئلة إلى الأشخاص الذين كانوا مع السيدة بونتون. وأحب أن أذكر لكم، أيها الأصدقاء، أن أفضل طريقة لكشف غوامض جريمة ما هي جعل المتهمين أو المرتاب في أمرهم يتحدثون، وفي النهاية لا بد أن يكشف أحدهم أمر نفسه.

وبعد برهة سكوت قال مستطرداً: لقد فكرت أولاً في احتمالات وفاة السيدة بونتون وفاة طبيعية، وفي النهاية قررت أن الوفاة لم تكن طبيعية بأي حال. إن ضياع المحقن، ثم موقف أفراد الأسرة من السيدة المتوفاة، كل ذلك أكد لي أن هناك جريمة قد ارتكبت، لا عن عمد وإصرار وحسب، وإنما كل فرد من أسرة المجني عليها كان يعرف أنها ماتت مقتولة والجميع تصرفوا معاً على هذا الأساس.

واستأنف بوارو حديثه وهو ينظر إلى الجميع: إن هناك حافزاً قوياً لارتكاب الجريمة، وهو المال. إن كل فرد من الأسرة سيستفيد من موتها ويرث ثروة طائلة، هذا عدا تحرر أفراد

الأسرة كلهم من طغيانها واستبدادها بهم. وقد خطر ببالي أولاً أن جميع أفراد الأسرة مشتركون في ارتكاب هذه الجريمة لأن أقوالهم كانت متناقضة وتدل على أنهم يخفون شيئاً ما، ولكنني رأيت أن أنظر أولاً في احتمال أن يكون أحدهم فقط هو الذي ارتكبها، وأن الباقين تستروا عليه. وكان بديهيّاً أن تتجه شكوكي مباشرة إلى الشخص الذي سمعته بأذني ذات ليلة في القدس يدبر أمر قتلها.

وبعد أن ذكر بوارو ما سمعه في تلك الليلة بالقدس استطرّد قائلاً: هذا الشخص هو ريموند بونتون.

وفتح ريموند شفّتيه ليقول شيئاً، لكنه آثر التزام الصمت، أما بوارو فقال وهو ينظر في ورقة بيده: وقبل أن أستطرّد في سرد أدلتي ضد ريموند أحب أن أقرأ عليكم هذه النقاط العشر التي لها دلالاتها، والتي أطلعت عليها الكولونيل كاربري هذا اليوم. هذه النقاط هي:

(١) كانت السيدة بونتون تتناول دواء من مركبات الديجيتالا.

(٢) فقد الطبيب جيرار محقناً.

(٣) كانت الضحية تستمد سعادتها من حرمان أفراد أسرتها من الاتصال أو التعارف بالغير.

(٤) شجعت الضحية، في عصر ذلك اليوم المذكور، أفراد أسرتها على الخروج للنزهة في الجبل بدونها.

(٥) كانت الضحية سادية التفكير.

(٦) المسافة بين حديقة الاستراحة والمكان الذي كانت الضحية جالسة فيه تبلغ مئتي متر تقريباً.

(٧) قال السيد لينوكس في أول الأمر إنه لم يعرف متى عاد إلى المخيم، ثم اعترف بأنه ضبط ساعة يدها على الوقت المحدد.

(٨) كانت خيمة جنيفرا بقرب خيمة الطبيب مباشرة.

(٩) في الساعة السادسة والنصف، بعد أن تمّ إعداد الطعام، أرسل أحد العمال لاستدعاء الضحية.

(١٠) قالت السيدة بونتون في القدس هذه العبارة: "إنني لا أنسى أبداً، تذكرني هذا، إنني لا أنسى قط شيئاً ولا تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً".

ورغم أنني قد وضعت هذه النقاط مفردة إلا أنني أستطيع في بعض الأحيان أن أتناول كل نقطتين معاً. مثلاً النقطتان الأوليان «كانت السيدة بونتون تتناول دواء من مركبات الديجيتال» و«فقد الطبيب محقناً»، فقد أثارت هاتان النقطتان شكوكي منذ اللحظة الأولى. وسوف أعود إلى الحديث عنهما فيما بعد، ولكنني سأفرغ الآن من دراسة الاحتمالات التي تجعل من ريموند المتهم الأول. وهذه هي الحقائق التي يمكن وضعها ضده: فقد سمعته يتحدث مع أخته كارول عن خطة لقتل زوجة أبيه، وكان في حالة توتر عصبي شديد، كما كان قد مر في ذلك اليوم بلحظة من اللحظات العاطفية القوية.

وهنا توقف بوارو عن الحديث فانحنى للآنسة كنج وقال لها: معذرة يا آنسة كنج.

ثم استأنف حديثه قائلاً: أعني أن ريموند في ذلك اليوم كان قد وقع في شرك الحب، وكان من الممكن أن تدفعه هذه العاطفة الجديدة إلى اتخاذ أكثر من موقف واحد. كان من الممكن أن تهدأ مشاعره وترق نحو العالم كله بما فيه زوجة أبيه، أو أن يستمد من هذا الحب الشجاعة لتحدي زوجة أبيه والتحرر من سيطرتها وسلطانها، أو أن يجد في الحب حافزاً إضافياً يدفعه لارتكاب الجريمة. هذه كلها جوانب نفسية، أما الحقائق فهي:

(١) غادر ريموند المخيم مع الآخرين في الساعة الثالثة والرابع تقريباً.

(٢) وكانت أمه على قيد الحياة وفي حالة طيبة.

(٣) تحدث مع سارة كنج أثناء النزهة حديثاً عاطفياً خاصاً، ثم انصرف عنها.

(٤) عاد إلى المخيم (بناء على أقواله) في الساعة السادسة إلا عشر دقائق.

(٥) مضى إلى زوجة أبيه وتحدث معها قليلاً، ثم هبط إلى حديقة الاستراحة.

(٦) يقول إن زوجة أبيه كانت على قيد الحياة في الساعة السادسة إلا عشر دقائق.

ولكننا نعلم الآن حقيقة أخرى تناقض تلك الحقيقة الأخيرة، ذلك أن الأنسة كنج، وهي طبيبة مؤهلة، على استعداد لأن تقسم أن السيدة بونتون كانت ميتة قبل السادسة والنصف بأكثر من ساعة ونصف على الأقل. وعلى هذا نجد أمامنا قولين متناقضين، فإذا افترضنا أن الأنسة كنج لم تخطئ...

وهنا قاطعته سارة قائلة: أنا لم أخطئ. لو أنني أخطأت في تقديري لاعترفت بخطئي.

فانحنى بوارو أمامها إعجاباً وقال: إذن هناك احتمالان لا ثالث لهما. إما أن تكون الأنسة كنج كاذبة في تقريرها أو أن يكون ريموند كاذباً في أقواله. ولتتناول الآن الأسباب التي تدفع ريموند إلى الكذب على افتراض أن الأنسة سارة لم تخطئ ولم تكذب. فقد عاد ريموند إلى المخيم وذهب إلى زوجة أبيه فوجدها ميتة، فماذا فعل؟ هل استغاث؟ هل ذهب فوراً وأخبر الجميع بموتها؟ لا، فقد وقف بجانبها متظاهراً بالحديث معها لحظة أو لحظتين، ثم مرّ بخيمته وهبط إلى حديقة الاستراحة دون قول شيء. ولا شك أن مثل هذا التصرف يدعو للدهشة، أليس كذلك؟

فقال ريموند بحدة: إنه أمر مضحك، لا شك أن الأنسة سارة كانت مخطئة في تقديرها بسبب الظروف القاسية التي مررنا بها.

فاستطرد بوارو يقول متجاهلاً الاعتراض: إن المرء يتساءل: هل هناك سبب يبرر هذا التصرف؟ الظاهر، كما يبدو، أن ريموند لا يمكن أن يكون جانياً ما دامت أمه كانت ميتة فعلاً حين ذهب إليها لأول مرة بعد ظهر اليوم. فإذا افترضنا أنه بريء فما معنى تصرفه؟ وما معنى قوله أن أمه كانت على قيد الحياة حين ذهب إليها بينما كانت في الواقع ميتة؟

وصمت بوارو برهة ثم استطرد يقول: إن التفسير الوحيد لهذا التصرف هو ظنه بأن أخته كارول قد نفذت خطة القتل

بدلاً منه.

صاح ريموند مرتجفاً: هذا خطأ.

ولكن بوارو استأنف قائلاً: ولننظر الآن في الاحتمالات التي تجعل كارول هي موضع الاتهام. فما هي الأدلة ضدها؟ إنها مثل أخيها كانت تعاني من قسوة زوجة أبيها، وكانت مثله قد بلغت أقصى حالات التمرد، ولذا اشتركت معه في تدبير خطة للقضاء عليها باعتبار أن قتل مثل تلك المرأة الشريرة عمل بطولي. لذا عادت كارول إلى المخيم في الخامسة وعشر دقائق، وذهبت للحديث مع أمها، هذا ما تقوله هي، ولكن أحداً في المخيم لم يرها، كان العمال نائمين وكانت الليدي وستولم والأنسة بيرس والسيد كوب يشاهدون منطقة أثرية بعيدة. ومعنى ذلك أن الفرص كانت متوافرة جداً لكي تنفذ كارول غرضها.

وهنا رفعت كارول رأسها ونظرت في ثبات وحزن إلى بوارو الذي تابع يقول: وفي صباح اليوم التالي شوهدت كارول وهي تقذف بعلبة محقن في الجدول.

وعندئذ قال الطبيب جيرار في دهشة: كيف يمكن ذلك وقد عثرت على محقني بالخيمة في ذلك الصباح؟

- نعم، نعم، ولكنني فهمت من أقوال الشاهدة التي رأيت كارول ترمي بالمحقن أنه ملك الأنسة سارة. أليس كذلك يا آنسة سارة؟

وقبل أن ترد سارة أسرع كارول قائلة: المحقن لم يكن ملكها، بل ملكي أنا.

- إذن فأنت تعترفين بأنك قد قذفت به إلى الجدول؟  
- طبعاً، ولماذا أنكري؟ ولكنني لم... لم ألمس العقار  
السام.

وعندئذ قالت سارة: إن المحقن ملكي أنا يا سيد بوارو،  
وهذا ما قلته للآنسة بيرس في ذلك الصباح.

فقال بوارو: إن الأقوال المتعارضة تملأ النفس بالحيرة  
والتساؤل، ولكن من الممكن تفسير هذا التناقض. إنني الآن،  
بدافع الإنصاف، سأفترض أن كارول بريئة. فما هي الأدلة على  
براءتها؟ لقد عادت من نزهتها الجبلية إلى المخيم، وذهبت  
للحديث مع زوجة أبيها فوجدتها ميتة، فخطر ببالها أن ريموند  
هو الذي نفذ مخطط القتل. ولم تدر ماذا تفعل، ولذا آثرت  
السكوت. ولما عاد ريموند بعد ساعة وتظاهر بالحديث مع  
زوجة أبيه تأكدت أنه هو مرتكب الجريمة، ومن ثم دخلت خيمته  
فعثرت على المحقن، وازدادت تأكيداً، ولكنها أخذت المحقن  
وأخفته وحاولت التخلص منه في الصباح التالي.

وصمت بوارو لحظة ثم قال: إن هناك دليلاً قوياً جعلني  
أؤمن ببراءة كارول، فعندما طلبت منها أن تقسم على براءتها  
بادرت بالقسم المؤكد دون أن تتردد لحظة واحدة.

ووثب ريموند فجأة وقال في تحد: لا داعي لكل هذا  
الحديث الطويل يا سيد بوارو. إنني أعترف الآن أنك على حق.  
لقد كانت زوجة أبي ميتة فعلاً حين ذهبت إليها في السادسة إلا  
عشر دقائق، وقد صدمت عندئذ لأني كنت أنوي مصارحتها  
بأنني قد قررت الافتراق عنها والزواج بالآنسة كنج. ولكن عندما

وجدت أنها ميتة خطر لي فوراً، كما قلت، أن كارول قد نفذت الخطة، ولذلك التزمت الصمت. لا سيما حين رأيت علامة وخز المحقن على معصمها.

فقال بوارو: ما هي الخطة التي وضعتها للتخلص من زوجة أبيك؟ يجب مصارحتي بها إذا أردت مني تصديقك.

فأسرع الشاب يقول: كانت وسيلة قرأت عنها في رواية بوليسية إنجليزية، وتتلخص في أن حقن أي إنسان في الوريد بالهواء، أي بمحقن فارغ إلا من الهواء، يؤدي إلى وفاته. وقد فكرت أن هذه أحسن وسيلة علمية أنفذ بها خطتي.

فأوما بوارو برأسه وقال: آه، فهمت. لذلك اشتريت محقناً لهذا الغرض؟

- لا، بل لقد سرقت محقن نادين.

فرمقه بوارو بنظرة سريعة وقال: المحقن الذي كان في حقائب سفرها بالقدس؟

- نعم.

فنظر بوارو إليهم كلهم وقال: والآن يمكن القول أننا كشفنا غموض ذلك المحقن الذي شوهدت كارول ترمي به إلى الجدول، فقد أخذه ريموند من أمتعة نادين في القدس، وأخذته كارول من خيمته حين ظنت أنه قد نفذ خطته، وعثرت عليه الأنسة بيرس على ضفة الجدول بين المخلفات، وأخذته منها الأنسة سارة قائلة إنه ملكها. وأظنه الآن مع الأنسة سارة.

فردت سارة: نعم.

- معنى هذا أنك كذبت علينا حين قلت إنه ملكك؟
- إنها كذبة مختلقة ولا علاقة لها بشرف المهنة.
- آه! إنني أعرب لك عن إعجابي الشديد يا آنسة سارة.
- شكراً.

وصمت بوارو برهة ثم عاد يقول: والآن لنعد إلى الاحتمالات التي تدين كل واحد من أفراد الأسرة وإلى الاحتمالات الأخرى التي تبرئه.

ثم أخذ يتلاعب بالجميع كما يفعل القط بمجموعة صغيرة من الجرذان المدعورة، فهو يسوق الأدلة على اتهام لينوكس، ثم نادين، ثم جنيفرا، ثم يعود ويفند هذه الأدلة كلها مؤكداً أنه شديد الإيمان ببراءتهم جميعاً وأنه لم يقبل القيام بهذه المهمة إلاّ ليثبت للكولونيل كاربري براءة أفراد الأسرة من دم امرأة أبيهم.

وراح الجميع يتبادلون النظرات، بينما هتف الكولونيل كاربري قائلاً في تجهم وحيرة: هل في الأمر جريمة أم لا؟

- طبعاً يا عزيزي.

- حسناً، إذا لم يكن أحد هؤلاء هو المذنب فلا بد أن أكون أنا!

- ولا أنت يا عزيزي، وإنما هو شخص آخر، شخص آخر تأكدت منه حين سمعت قول السيدة بونتون للآنسة كنج في بهو الفندق بالقدس: "إنني لا أنسى أبداً، تذكري هذا، إنني لا أنسى قط شيئاً ولا تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً".

\* \* \*

قال بوارو وهو يتأمل الوجوه المرفوعة إليه في دهشة: ما هي الحقيقة إذن؟ إنه سؤال لا بد من الإجابة عليه. لقد أخذ من حقيبة أدوية الدكتور جيرار جزء من عقار الديجيتوكسين السام، وأخذ منه أيضاً محقن ثم أعيد في الليل أو في الصباح الباكر. وهناك علامة وخز إبرة المحقن على معصم يد المتوفاة. ومن المؤكد أننا سنعرف بعد التشريح ما إذا كانت السيدة بونتون قد ماتت متأثرة بسم عقار الديجيتوكسين أم لا، لكن نتيجة التحليل والتشريح قد تأتي بعد فوات الأوان، ولذا يجب معرفة الحقيقة الليلة، بل الآن وقبل أن يفر القاتل من أيدينا.

فرفعت نادين رأسها وردت بحدة: هل تعني أنك لا زلت تظن أن... أن أحدنا...

- إنني اعتقد أن القاتل هنا، في هذا الفندق. وسأذكر لكم اسمه بعد قليل، بعد أن أقنعكم بإدائته بناء على تحليلنا للنقطة العشر أو جزء منها على الأقل. ولنأخذ النقطتين الأوليتين: «كانت السيدة بونتون تتناول دواء من مستحضرات عقار الديجيتال، وقد فقد الطبيب جيرار محقنه». إن هاتين الحقيقتين تؤكدان، ظاهرياً، إدانة أحد أفراد الأسرة. لكنهما، مع التفكير المنطقي،

تؤكد ان العكس! إن سرقة كمية من العقار السام عملية بارعة في حد ذاتها، لأن السيدة بونتون كانت تتناول مستحضراً خفيفاً من هذا الدواء. فلو أنني أحد أفراد الأسرة فماذا أعمل؟ إن أبسط شيء وأبعد شيء عن الشبهات هو وضع الدواء المركز في زجاجة دوائها، وحين تتناول الكمية المعتادة تموت فوراً بالسكتة القلبية. وبهذا أحقق هدفي دون أن يفطن أحد. وحتى إذا فطن أحد بأن الزجاجة بها عقار مركز فسيسهل على الجاني الزعم بأن الخطأ يرجع إلى الصيدلي الذي أعد الدواء. أي أنه ليس هناك ما يدعو إلى سرقة محقن أو المغامرة بحقن المجني عليها في مكان مكشوف. إذن فلماذا سُرقت المحقن من خيمة الطبيب جيران؟

هناك تفسيران لهذا السؤال: إما أن يكون الطبيب لم يبحث جيداً عن المحقن بسبب حالة الحمى التي كان يشكو منها، أو أن القاتل سرق المحقن لأنه لم يستطع أن يصل إلى زجاجة الدواء ليضع الدواء السام لأنه لم يكن واحداً من أفراد الأسرة، وهذا يدل على أن القاتل شخص خارج نطاق الأسرة، أي شخص ليس له حق دخول كهف السيدة بونتون دون أن يلفت إليه الأنظار.

وصمت بواردو قليلاً قبل أن يستطرد قائلاً: فمن يكون هذا الشخص الدخيل؟ إنه ليس السيد كوب لأن جميع الأدلة تثبت أن لا مصلحة له في قتل العجوز... وليست الأنسة سارة أيضاً لأنه لا يعقل أبداً أن تلجأ أنسة مثقفة وطيبة إلى ارتكاب جريمة قتل لكي تفسح الطريق أمامها للزواج من ريموند... وليس الدكتور جيران بطبيعة الحال لأنه كان محموماً، وحتى إن لم يكن محموماً

فما هي مصلحته الهامة في قتلها؟ هذا إلا إذا كان لدى كل منهم حوافز قوية لارتكاب الجريمة لا ندرى عنها شيئاً.

فابتسم جيرار وقال: مثل ماذا؟

- أنت مثلاً. ربما قررت أن تتولى علاج جنيفرا وإنقاذها من المصير الرهيب الذي كانت تنحدر إليه بسرعة، ولكنك رأيت أن العلاج لن يجدي إلا إذا أزلت من الوجود السبب في المرض. أي أنك، مثلاً، قد قررت التضحية بأمر عجوز شريرة لإنقاذ ابنة شابة جميلة طاهرة كالملاك.

فابتسم جيرار وقال: يا لخيالك الواسع العجيب يا سيد بوارو!

أكمل بوارو كلامه دون أن يحفل به: لكن إذا كان الطبيب هو القاتل فلماذا لفت الأنظار إلى احتمال وقوع جريمة حين قرر أن المحقق قد سُرق منه، وكذلك كمية من العقار؟ إن هذا الموقف، يا أصدقائي، لا يتفق مع أبسط قواعد المنطق.

فقال الكولونيل كاربري: وماذا بعد يا سيد بوارو؟! أليس لهذا الحديث من نهاية؟

فأوماً بوارو قائلاً: لقد أوشكت على الوصول إلى النهاية. ولنأخذ الآن النقطتين الثالثة والرابعة: «السيدة بونتون تستمد سعادتها من حرمان أفراد أسرتها من الاتصال بالغير»، و«السيدة بونتون، في عصر ذلك اليوم المشار إليه، شجعت أسرتها على الخروج للنزهة بدونها». إن هاتين الحقيقتين تتعارضان معاً كل التعارض، فلماذا قررت العجوز في عصر ذلك اليوم أن تغير سياستها مع أفراد الأسرة فجأة؟ لا بد أن هناك سبباً، فما هو؟

ونظر بوارو إلى الجميع متسائلاً، فلما رأهم يحملقون في وجهه صامتين استطرد يقول: هلم نتعمق في نفسية السيدة بونتون كما وصفها بحق الدكتور جيرار: لقد سئمت السيطرة على أفراد الأسرة بين جدران قصرها في أمريكا وقررت أن تغزو آفاقاً جديدة لإشباع حب السيطرة في نفسها، فقامت بهذه الرحلة إلى الخارج وهي مؤمنة بأن هذه الرحلة سوف تزيد من نطاق سيطرتها عليهم وتتيح لنفسها المزيد من فرص ممارسة طغيانها والتحكم في تصرفاتهم. ولكن النتيجة كانت عكسية تماماً، لأنها ما كادت تخرج إلى العالم الواسع حتى لمست ضآلة شأنها واحتمال عجزها عن القبض على زمام الأمور بين أفراد أسرتها. وهذا يؤدي بنا إلى النقطة العاشرة.

فحين ذهبت سارة إليها في بهو الفندق وأخبرتها برأيها فيها بكل صراحة تحدثت السيدة بونتون بعبارة غامضة، دون أن تنظر إلى سارة... وإنما كانت تنظر إلى شخص آخر قريب من المكان، وقالت بالحرف الواحد: "إنني لا أنسى أبداً، تذكرني هذا، إنني لا أنسى قط شيئاً ولا تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً".

وصمت بوارو برهة ثم قال للجميع: هل يمكن لأحدكم أن يفهم دلالة هذه العبارة؟ إنها طبعاً لم تكن رداً على حديث سارة، بل إنها لم تكن تنظر إليها وهي تقول تلك العبارات. وهذا يعني أنها كانت موجهة إلى شخص آخر وراء الأنسة كنج.

ومرة أخرى أمسك بوارو عن الحديث قبل أن يستطرد قائلاً: لقد وقعت أنظار السيدة بونتون على ذلك الشخص في أقسى لحظات حياتها، في اللحظة التي انعقد فيها لسانها من فرط الغضب حين بينت لها الأنسة سارة مدى تفاهتها وضآلة

شأنها. في تلك اللحظة رأت شخصاً آخر يمكن أن يكون ضحية جديدة تمارس فيه نزعتها الشديدة إلى السيطرة والطغيان، وهذا ما يفسر موقفها الغامض من أفراد الأسرة في عصر ذلك اليوم، أعني حين طلبت منهم أن يذهبوا جميعاً للنزهة بدونها.

أعرفون لماذا؟ لكي تتاح لها الفرصة للانفراد بالضحية الجديدة التي وقعت بين يديها... للانفراد بها والتمتع بتعذيبها. ومن هذه النقطة الجديدة يجب أن نتناول أحداث عصر ذلك اليوم، فقد ذهب أفراد الأسرة للتنزه وبقيت هي جالسة أمام كهفها.

والآن لنتناول أقوال السيدتين: الليدي وستولم والأنسة بيرس، وإن كانت أقوال الأنسة بيرس لا قيمة لها لأن شخصيتها ضعيفة ومن السهل الإيحاء لها بما يراد منها أن تقول، أما الليدي وستولم فهي واضحة في أقوالها وقوية الملاحظة جداً. والسيدتان متفقتان في أنهما رأتا أحد العمال العرب يقترب من العجوز ويثير غضبها بطريقة ما، ثم يتراجع مسرعاً حين ثارت عليه ولوحت بعصاها وراءه. وقد قالت الليدي وستولم إن العامل دخل أولاً خيمة جنيفرا، لكنكم تذكرون أن خيمة الطبيب كانت تجاور مباشرة خيمة جنيفرا، ومن المحتمل إذن أن يكون العامل العربي قد دخل خيمة الطبيب.

فقاطعها الكولونيل كاربري عندئذ بقوله: هل تريد أن تقول لنا إن أحد العمال العرب هو الذي ارتكب هذه الجريمة؟ يا للعجب!

- مهلاً يا صديقي، إنني لم أفرغ بعد من حديثي. لتتفق أن

العامل العربي خرج من خيمة الطيب، فماذا بعد؟ إن السيدتين تتفقان في وصفه: كان مرتدياً عقلاً كالعرب، وسترة وبنطلوناً من بنطلونات الركوب. هذا هو وصف الأنسة بيرس له، أما الليدي وستولم فقد تمادت في وصفه قائلة إنه كان مرتدياً بنطلوناً ممزقاً وحزام ساق غير محكم على ساقيه، ولكنهما لم تستطعا أن تتبينا وجهه أو تسمعا الحديث الذي دار بينه وبين العجوز لأن المسافة بينهما وبينه كانت نحو مئتي متر.

وصمت بوارو لحظة قبل أن يردف قائلاً: فإذا كان من العسير على الليدي وستولم أن تتبين وجهه، فكيف أمكنها أن تلاحظ بدقة عدم إحكام الحزام على ساقه؟ أليس هذا عجبياً ومثيراً للتساؤل؟ لأنها ما دامت لم تستطع أن ترى وجهه بوضوح ولا أن تسمع صوته بسبب طول المسافة فإنها -على هذا- لا تستطع أن ترى الحالة التي كان عليها حزام الساق من بعد مئتي متر!

لقد كانت غلطة كما ترون، وقد أثارت هذه الملاحظة تفكيري. لماذا أصرت الليدي وستولم على وصف حزام الساق لذلك العامل بهذه الدقة؟ أتراها عملت هذا لأن العامل لم يكن مرتدياً حزاماً أصلاً؟ لقد رأته كل من الليدي وستولم والأنسة بيرس، ولكن كلاً منهما كانت جالسة أمام خيمتها، وبالنظر إلى هذه الخريطة نرى أن سور حديقة الاستراحة يمنع كلاً منهما من رؤية الأخرى وهما جالستان أمام خيمتهما. وقد أكدت الليدي وستولم هذه الحقيقة بقولها إنها ذهبت لترى الأنسة بيرس فلقيتها جالسة أمام خيمتها تقرأ. أي أنها لو كانت تراها من أمام خيمتها، خيمة الليدي وستولم، لما كان هناك سبب لذهابها كي تراها.

فانتصب الكولونيل كاربري في جلسته وقال: يا إلهي! أتريد أن تقول إن الليدي...

فقاطعها بوارو قائلاً: أريد أن أقول إن الليدي وستولم، حين تأكدت أن الأنسة بيرس جالسة مستغرقة في القراءة، وكانت هي الوحيدة المستيقظة أو الموجودة في المعسكر في تلك الساعة، قد عادت إلى خيمتها وارتدت سراويل الركوب وسترة خاكية اللون وصنعت لرأسها عقلاً (وما أبسط هذا بطبيعة الحال)، واندفعت إلى خيمة الطبيب فأخذت المحقن وفحصت حقيبة الأدوية واختارت العقار المناسب لتحقيق هدفها، وملأت المحقن منه ومضت بكل جرأة إلى خيمتها.

واستطرد بوارو قائلاً بعد أن صمت قليلاً: ومن المحتمل أن العجوز كانت غافية في ذلك الحين. ولكن المؤكد أن الليدي وستولم كانت سريعة وحاسمة، إذ أمسكت بمعصمها وحقتها بالعقار السام. وصاحت السيدة بونتون وحاولت النهوض، ولكنها تهالكت في مكانها. وأسرع «العامل العربي» كما بدا للأنسة بيرس عندئذ بالهرب والسيدة بونتون تلوح وراءه بعصاها في غضب.

وبعد خمس دقائق تكون الليدي وستولم قد تخلصت من ثياب التنكر وعادت إلى الأنسة بيرس لتعلق على ذلك المنظر وهي واثقة من أن تعليقها سوف يترك أثره في نفسية الأنسة بيرس الضعيفة التي تتأثر بسرعة من إحياءات الغير. وبعد ذلك ذهبنا للنزهة، وقد عمدت الليدي وستولم أن تقف تحت الجرف الذي تجلس فوقه العجوز لتتهف لها بعبرة، ولم تلتق أي رد بطبيعة الحال ولكنها تظاهرت بأن العجوز ردت بغمغمة تنم عن قلة

الذوق، وعلقت على هذا أمام الأنسة بيرس المستعدة على أن تقسم بأنها سمعت غمغمة من السيدة بونتون.

هكذا يبلغ ضعف نفسية الأنسة بيرس. لقد جربت بنفسى هذا معها حين أوحيت إليها أنني قد عطست أمامها، وأكدت لي أنها سمعتني أعطس فعلاً!

المهم أن الليدي وستولم، بحكم عملها السياسي، كانت تعرف حقيقة نفسية الأنسة بيرس ومدى استعدادها لتقبل أي شيء يوحى إليها به. ولكن المشكلة التي واجهت الليدي وستولم بعد ذلك هي التخلص من المحقن، فقد عاد الطبيب جيران إلى خيمته بأسرع مما كانت تظن بسبب إصابته المفاجئة بالحمى، وقد خامرها الأمل أنه لن يلحظ ضياع المحقن حتى تتمكن من إعادته إلى خيمته أثناء الليل أو في الصباح الباكر.

وتوقف بوارو عن الكلام، فسألته سارة: لكن لماذا؟ لماذا أرادت الليدي وستولم قتل السيدة بونتون؟

- ألم تقولي إن الليدي وستولم كانت جالسة بالقرب منك حين ذهبت وتكلمت إلى العجوز في بهو الفندق بالقدس؟ إن عبارتها الغامضة لم تكن موجهة إليك وإنما إلى الليدي وستولم: "إنني لا أنسى أبداً، تذكري هذا، إنني لا أنسى قط شيئاً ولا تصرفاً ولا اسماً ولا وجهاً".

فإذا علمنا أن العجوز كانت سجانة قبل زواجها فيمكنكم أن تستتجوا الحقيقة، فقد تعرّف اللورد وستولم بزوجه هذه أثناء عودته بالباخرة من رحلته إلى أمريكا، وكانت الليدي قبل زواجها مجرمة في أمريكا أمضت بضع سنوات من عمرها في

أحد السجون.

وصمت بوارو لحظة قبل أن يستأنف كلامه قائلاً: ويمكنكم أن تتصوروا الفزع الرهيب الذي ملأ قلب الليدي وستولم حين وجدت نفسها فجأة أمام سجانتها السابقة! إن كل آمالها وكل شيء عظيم في حياتها قد أصبح مهدداً في لحظة. ونحن نجهل الآن السبب الذي من أجله سجنتم في أمريكا (وإن كنا سنعرف هذا بعد يوم أو يومين). ولكن، أياً كان السبب، فلا بد أنه كفيل بنسف كل ما بنته من مجد سياسي ومكانة اجتماعية رفيعة إذا شاع أمره بين الناس. وتذكروا هذا... إن السيدة بوتنون لم تكن من النوع الذي يهدد من أجل ابتزاز المال، فهي لم تكن بحاجة للمال، ولو كانت كذلك لاستطاعت الليدي شراء سكوتها. لكن العجوز كانت من النوع الذي يستمد سعادته من تعذيب ضحاياه وتعريضهم لأقسى أنواع البؤس والشقاء، ومن ثم أيقنت الليدي أنها لن تكون في أمان قط طالما ظلت العجوز على قيد الحياة.

وهكذا أطاعت أمر العجوز حين طلبت منها أن تلتقي بها في البتراء. وقد عجبتُ قبل أن أعرف هذه الحقائق كيف تسافر سيدة ذات مكانة اجتماعية كبيرة مثل الليدي وستولم بمثل هذه البساطة، ولكنها كانت في ذات الوقت تفكر في طريقة للخلاص من العجوز، ولما سنحت الفرصة نفذت الجريمة بكل جرأة. ولكنها ارتكبت خطأين: الأول: وصفها الدقيق لحزام الساق للعامل العربي، وهو أمر أثار شكوكي، والخطأ الثاني: عندما أخطأت ودخلت خيمة جنيفرا في أول الأمر وهي تحسبها خيمة الطبيب جيرار. وهذا ما يفسر حديث جنيفرا عن «الشيخ العربي» الذي دخل خيمتها وأراد أن يختطفها كما توهمت.

وبعد فترة صمت أخيرة قال بوارو مستطرداً: ولكننا سنعرف الحقيقة بالدليل المادي قريباً جداً، فقد حصلت على بصمات الليدي وستولم دون علمها وأرسلتها إلى إدارة السجن الذي عملت فيه العجوز سجانة، وسوف نعرف الحقيقة قريباً عند مضاهاة بصمات الليدي وستولم بالبصمات الموجودة في سجلات إدارة السجن.

وما كاد بوارو يفرغ من عبارته الأخيرة حتى سمع الجميع دويماً حاداً في الغرفة المجاورة مباشرة، فهتف الدكتور جيرار قائلاً: ما هذا؟

فقال الكولونيل كاربري وهو ينهض مسرعاً: إنه دوي طلق ناري... من المقيم في الغرفة المجاورة؟

فقال بوارو وهو يتسم بخبث: الليدي وستولم.

\* \* \*

## الخاتمة

صدرت صحف اليوم التالي في القدس ولندن تحمل هذا النبأ: "يؤسفنا أن نذيع نبأ وفاة الليدي وستولم، عضوة البرلمان الإنجليزي، إثر حادث أليم. فقد وجدت الليدي وستولم في غرفتها في فندق الملك سليمان بالقدس مصابة بطلق ناري والمسدس في يدها، وقد اتضح أن المسدس انطلق أثناء تنظيفها له".



في مساء يوم دافئ من شهر يونيو، بعد هذه الأحداث بخمس سنوات، كانت سارة وزوجها ريموند جالسين في مقصورة خاصة بمسرح لندن يشاهدان مسرحية هاملت. وأمسكت سارة بذراع ريموند في تأثر شديد حين صعدت إلى خشبة المسرح الممثلة الذائعة الصيت، جنيفرا بونتون، لتقوم بدور أوفيليا.

وهمست سارة لزوجها: ما أروعها، ما أعظم عبقريتها! لقد صدق الدكتور جيرار حين قال إن جنيفرا ستكون من أعظم ممثلات عصرها.

وفي ساعة متأخرة من تلك الليلة، بعد انتهاء التمثيل، كانت جنيفرا جالسة في مطعم سافوي. قالت لرجل ملتج بجانبها (وهو مخرج المسرحية) وهي تضع على شفيتها تلك البسمة الجميلة: هل أديت دوري الليلة كما ينبغي يا تيودور؟  
- لقد كنت رائعة يا عزيزتي.

وقالت نادين الجالسة أمام جنيفرا على نفس المائدة: ما أروع وجودي هنا، في لندن، وجلوسي مع جنيفرا، الممثلة الذائعة الصيت!

والتفتت نادين إلى زوجها لينوكس وقالت: هل يمكن أن ندع طفلينا يشاهدان المسرحية في الحفلة المسائية؟ إنهما في السن التي يمكن أن يتعرفا فيها على عمتهما وهي على خشبة المسرح.

فهتف لينوكس بصوت كله السعادة والمرح: وتحية إلى الزوجين الجديدين... السيد كوب وكارول.

وضحكت كارول وضحك ريموند، ثم فجأة اكتأب وجهه وبدا عليه كأنه يرى حلماً قديماً مزعجاً حين شاهد السيد بووارو يتقدم نحو جنيفرا وينحني أمامها قائلاً: تحياتي إلى أعظم فنانة في هذه البلاد.

وحياه الجميع بحرارة وأفسحوا له مكاناً بينهم. وتلفت بووارو حوله، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وانحنى على سارة وقال لها هامساً: يبدو أن كل شيء على ما يرام مع أفراد أسرة بونتون.

فأجابته: الفضل لله ولك يا سيد بوارو.

- لقد أصبح زوجك رجلاً مشهوراً، قرأت ما كتبه  
المعلقون والنقاد عن كتابه الأخير.

قالت: إنه عبقرى بلا شك. وهل تعلم أن كارول وكوب  
استطاعا أن يكونا أسعد زوجين رغم ما كان من حب كوب لنادين  
أولاً؟ ولعلك لم تعلم أن نادين أطلقت لنفسها حرية الحمل  
وأصبح لها الآن طفلان جميلان جداً. أما جنيفرا فها هي كما  
تراها: عبقرية وشهرة ونجاح.

\* \* \*

(تمت)